تطبير الرؤوس وتجريح الأجساد

تفجعاً على مصرع الحسين

الجذور التاريخية لشعائر الأحزان الشيعية

حسين علي الجبوري





تطبير الرؤوس وتجريح الأجساد
تفجعاً على مصرع الحسين

الجذور التاريخية لشعائر الأحزان الشيعية

* اسم الكتاب: تطبير الرؤوس وتجريح الأجساد تفجعاً على مصرع الحسين

* التأليف: حسين علي الجبوري

* الطبعة الأولى: الورّاق 2016

* جميع الحقوق محفوظة

* تصميم الغلاف الفنان فيصل لعيبي صاحي

Warrak123@gmail.com
www.alwarrakbooks.com
www.facebook.com/warrakbooks
ISBN: 978-9933-521-622

التوزيع

Alwarrak Publishing Ltd.

26 Eastfields Road
London W3 0AD_UK
Tel: 00442087232775
Fax: 00442087232775
Warraklondon@hotmail.com

الفرات للنشر والتوزيع

بيروت الحمرا بناية رسامني طابق سفلي أول
ص . ب: 113 _ 6435 بيروت-لبنان
هاتف: 009611750054
فاكس: 009611750053
e_mail:info@alfurat. com

حسين علي الجبوري

تطبير الرؤوس وتجريح الأجساد تفجعا على مصرع الحسين

الجذور التاريخية لشعائر الأحزان الشيعية



عن المؤلف

حسين علي حسون جار الله الجبوري

كاتب وباحث عراقي متخصص في الدراسات والبحوث الأنثروبولوجية والأساطير.

من مؤلفاته المطبوعة:

- الخناقون ورسيس القتل الطقسي
- في أحزان قبائل الوحش على مصرع الحسين
- البكاء على تموز عند ضريح الولي أبي حصيرة
- القبلة وتقاليد التقبيل في شرائع الحب والدين والسياسة

صدر له عن شركة الوراق:

- مهزلة العقل الديني . . يا أمة ضحكت
- كوميديا السِّحر وتسخير المخلوقات الخفيّة (يصدر قريباً)

الفهرس

استفتاح

1- مَرثيَة لتمَوز:

«تَرفع صوتها (إنانا) بالنواح إذ فارق الدنيا

ترفع صوتها بالنواح قائلة: واولداه

ترفع بالنواح صوتها إذ فارق الدنيا قائلة يا دموزي

ترفع بالنواح صوتها إذ فارق الدنيا قائلة يا ساحري يا كاهني.

هناك . . حيث أرسلت شجرة الأرز المشرق جذورها في المكان الفسيح.

في (عيانا) . . في التلال والوهاد ترفع صوتها بالنواح

وهي تنوح على العشبة التي لا تنمو في تربتها

تنوح نوحاً على القمح الذي لا ينبت في سنابله

امرأةٌ قد نالها الإِعياء

طفلة أصابها التعب»

الشاعرة (إنانا) إلهة الخصب

العراقية (3500 ق.م)

2- مرثية للحسين:

« وحينما استقرّت الرماح

في حشاشة الحسين

وازّيّنت بجسد الحسين

وداست الخيول كلَّ نقطةٍ

من جَسَد الحسين

واستُلِبَتْ وقُسِّمت ملابس الحسين

رأيت كلَّ حَجَرٍ يحنو على الحسين

رأيت كلَّ زهرة تنام عند كتِفِ الحسين

رأيت كُلَّ نَهَرٍ يسير في جنازة الحسين».

(الشاعر أدونيس)

المقدمة

لقد تناول بالدراسة الكثير من المؤرخين والباحثين الاجتماعيين هذه الظاهرة العنيفة في التفجّع على الحسين التي لصقت بالمذهب الشيعي الاثني عشري وهي من ابتداع بعض الشيعة من العامّة والسُّوقة، فأرجعوها إلى أصول غائرة في التاريخ، مارسها الإنسان البدائي في الحزن على موتاه، ومارسها أصحاب الديانات الوثنية في حالة موت أبطالهم وآلهتهم.

وكان أهل الرافدين القدماء يقيمون المآتم والمناحات عند موت إلههم (دموزي) السومري أو (تموز البابلي) الذي يعتقدون أنه يموت في الشتاء ويبعث في الربيع، فكانت تقام لموته الاحتفاليات في عامة مدن وادي الرافدين (ميزوبوتاميا). وكانت هذه الاحتفاليات تتمثَّل بالعويل والصراخ والبكاء والنَّحيب، يتخلَّلُها لطمُ الصدور وشَقّ الجيوب وجَزّ الشّعر وتجريح الأجساد. وكان القصد من ذلك التعذيب مشاركة الإله في عذاباته وتمثيلها على أنفسهم[1].

* * *

مناحة گلگامش على صديقه أنكيدو:

وتحدّثنا ملحمة گلگامش العراقية وهي أقدم الملاحم في

---

(1) **لغز عشتار**، فراس السواح، ص 299.

التاريخ كيفية حزن گلگامش ملك أوروك على صديقه الوفيّ أنكيدو عندما مات وكان يحسبه غرِقاً في سِنةٍ من النوم العميق:

«فحدَّثَه ولكن (أنكيدو) لم يَسمعهُ ولم يرفَع عينيه.

فجَسَّ قلبَهُ ولكنه لم ينبِض.

وعند ذاك غَطّى صديقه كالعروس.

وأخذ يزأر كالأسد حوله[1]

وكاللبوة التي اختطف منها أشبالها.

فصار يروح ويجيء أمام الفراش وهو ينظر إليه.

وينتف شعره المضفور ويرميه على الأرض.

نزع ثيابه الجميلة ورماها كأنها أشياء نجسة»[2]

وورد في نصٍّ آخر من نصوص الملحمة، أن گلگامش بكى صديقه سبعة أيامٍ وسبع ليالٍ، ثم هام على وجهه في الصحراء[3].

ويلاحظ القارئ أن عدد الأيام التي بكى فيها گلگامش صديقه أنكيدو كانت سبعة أيام، وهو العدد نفسه الذي يقام اليوم في الحزن على الميت ويطلق عليه العراقيون مصطلح (سبعة الميت).

* * *

---

(1) الزئير: عويلٌ فيه حشرجة (اللسان/ عَوَل) وكان گلگامش ملك أوروك جَباراً عنيفاً طاغياً ولهذا يكون الزئير مناسباً له عندما يحزن.

(2) **ملحمة گلگامش**، د. طه باقر، 107، ط. وزارة الإعلام 1971 .

(3) **معجم الأساطير**، لطفي الخوري، 181/2، ط. دار الشؤون الثقافية العامة، ط. الأولى 1999 م بغداد .

تغيير جذري:

وبسبب انطلاق هذه الممارسات التفجعيّة من بؤرة مشركة، فقد نادى كثير من علماء الطائفة المذكورة بنبذها وتنظيف تعبُّديات المذهب منها، استناداً إلى ما جاء في القرآن من أمر يقضي بصيانة الإنسان نفسه عن الأذى وجلب الضُّر المؤدي إلى هلاك النفس في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[1].

وكذلك اعتمدوا على أحاديث نبويّة كثيرة تُحرِّمها وتعتبر ممارسها منسلخاً عن الدين سلخاً، ومنقطعاً عنه حيث تبدأ هذه الأحاديث بعبارة: (ليسَ مِنّا من . . . إلخ) كالحديث الصريح: (ليس مِنّا مَن لَطَم الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)[2].

ومِنه الحديث: (ليس مِنّا مَن صَلَقَ أو حَلَقَ)[3].

وقد كان العراقيون يفعلون تلك الأفاعيل عند موت إلههم أو ملكهم كما ذكرنا وكان ذلك بحدود (2700 ق.م.)[4].

* * *

---

(1) سورة البقرة، الآية: 195.

(2) رواه عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ، **المجموع في شرح المهذّب**، محيي الدين النووي، 307/5، طبع ونشر دار الفكر، بيروت.لبنان.

(3) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، 48/3. والصلقُ: صوت مُعَبِّر عن حدوث فجيعة تقوم به المرأة وتسمى (الصالقة) وهي المولولة بالصوت. وحَلَق يعني حلق شعر رأسه حزناً على الميت.

(4) **عشتار ومأساة تموز**، د. فاضل عبد الواحد علي، ص 137، منشورت وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، 1973م.

حكاية الكتاب:

وعلى أساس هذا الارتباط الواضح للشعائر الحسينية بوسائل الوثنيين والجاهليين المشنوءة في التفجع على موتاهم، سواءً أكان الموتى آلهةً أو ملوكاً معبودين أو أبطالاً قوميين أو بشراً عاديين، بادرنا بتأليف هذا الكتاب، دعماً لنداءات علماء الطائفة بوجوب التصحيح، وتنزيه المذهب منها لأنها أمست عند الجاهلين جزءاً لا يتجزأ من صلب الدين[1].

ولقد كنت -في الحقيقة- واجف القلب، قلقاً من احتمال رفضه من قبل الناشرين. لكونه يمس بعض المرجعيات الشيعية التي تقوم بتنظيم مواكب التطبير وتتبنى رعايتهم والدفاع عنهم.

وبينما أنا في حيرتي أصفق كفاً على كفّ أَسَفاً على فقدان الشجاعة في عصر يتطلّبها لإنقاذ البلاد من الانفلات الفكري وفساد العُقول، تذكرت الصديق الأستاذ (ماجد شبّر) مدير شركة الوراق المعروف بشجاعته في مثل هذه الأمور. فعرضت عليه الكتاب ووافق على نشره وأرسل لي مقترحاً أن أضع للكتاب مقدمة تفصيلية يطلع القارئ من خلالها على متن الكتاب وتكون مدخلاً لموضوع البحث.

وكان قد نشر لي كتاب مهزلة العقل الديني . . يا أمة ضحكت.

---

(1) كتب أحد هؤلاء على صفحة (الفيس): إن التطبير أَمَر به الله وهو خطٌّ أحمر لا يجوز لأحد أن يمنعه أو يحاربه. وقال أحد الوعاظ المنبريين: إن التطبير عبارة عن تدريب محبي آل البيت على استخدام السيف الذي سيستخدمونه لقتل القاسطين عند ظهور (الحجة المهدي)، وهو سيخرج قريباً وما إلى ذلك من مزاعم مضحكة.

وقد شرّق هذا الكتاب وغَرّب، وتلاقفه النقاد والباحثون ونفدت نسخه في كربلاء وراحوا يبحثون عنه في بغداد. وحدّثني الشاب يوسف محمد حسين الخزرجي الذي أهديته نسخة منه:

أن النسخة تُدوولت بين أيدي أصدقائه الشباب الرافضين المشاركين في التظاهرات الشعبية لإسقاط رجال الحكم الفاسدين في العراق، وأخذوا يتناولونها حسب الدور. ثم قال لي يوسف: إن هذا الكتاب هو تكملة لكتاب (مهزلة العقل البشري) للكاتب الاجتماعي المشهور (علي الوردي).

* * *

أقول: إن الاقتراح سليم في وضع مقدمة للكتاب، وهو المتَّبع عند تأليف الكتب الأكاديمية، ولكنني حسب خبرتي المتواضعة في القراءة وجدت أن القارئ يهمل قراءة هذه الاجتزاءات المبتسرة لأنها تفسد عليه متعة التفصيل ويميل إلى قراءة فهرست المواد لأخذ فكرة سريعة عن الكتاب، وأنا من ضمن هذا الرعيل.

كما أن الكتاب يحتوي على تسعة وعشرين باباً، فإذا خصَّصنا لكل باب فقرة تختصره، أصبح المختصر كتاباً آخر، هذا بالإضافة إلى أن بعض الأبواب لا يمكن اختصارها لأنها هي بالأساس مختصرة قليلة المادة، لذلك أرجو القارئ أن يكتفي بالنظرة الممعنة في فهرست المواد ليطلع على مضمون الكتاب والسلام.

المؤلف

حسين الجبوري



من تخطيطات الفنان فيصل لعيبي صاحي

الباب الأول

استهلالات لغوية وأساطير فارسيّة

1ـ (بين طَبَرزنان وطَبَرستان):

التطبير بمفهومه المعروف في اللغة المحكية بين الشيعة الإمامية هو تجريح الرأس بالآلات الجارحة وإدماؤه. وهو تقليد ابتداعي من تقاليد تفجع الشعوب البدائية على موتاهم، تمسَّك به بعض عوام الشيعة تمسكاً شديداً جرى في عروقهم رغم النواهي الدينية والفقهية والأخلاقية ورغم العقاب عليه في بعض الأقطار كإيران اليوم.

وقد جاء الاسم من كلمة (الطَّبَر) -بفتح الطاء والباء- وهي كلمة فارسية معناها ما يشقّق به الأحطاب وما شابه الأحطاب بلغة الفرس. ومنها سمي إقليم واسع في بلاد فارس بـ(طبرستان)، معناها: ناحية الطبر، أو مدينة الطبر.

وقد أورد ياقوت الحموي -الذي زار المنطقة وشافَهَ أهلها- سبباً لتسمية هذه البلاد بهذا الاسم فقال:

(اجتمع في جيوش بعض الأكاسرة خلقٌ عظيم من الجناة، وجب عليهم القتل، فتحرَّج من ذلك كسرى، وشاور وزراءه وسألهم عن عدَّتهم فأخبروه بخلق كثير، فقال: اطلبوا لي موضعاً أحبسهم فيه، فساروا في بلاده يطلبون موضعاً خالياً حتى وقعوا بجبال (طبرستان)

فأخبروه بذلك، فأمر بحملهم إليه وحبسهم فيه، وكان يومئذ جبلاً لا ساكن فيه، ثم سأل عنهم بعد حَول، فأرسلوا من يخبرهم، فأشرفوا عليهم، فإذا هم أحياء ولكن بالسوء. فقيل لهم: ما تشتهون؟ وكان الجبل أشباً[1] كثير الأشجار فقالوا:

ـ طَبرها . . . طَبرها

و(الها) فيه معنى الجمع في جميع كلام الفرس[2] يعنون: نريد أطباراً نقطع بها الشجر ونتخذها بيوتاً. فلما أخبروا كسرى بذلك، أمر بأن يعطوا ما طلبوا، فحمل إليهم ذلك. ثم أهملهم حولاً آخر وأنفذ من يتفقدهم، فوجدهم قد اتخذوا بيوتاً. فقال لهم ما تريدون؟ فقالوا:

ـ زنان ! !

أي يريدون نساءً فأخبروا الملك بذلك، فأمر من في حبوسه من النساء، أن يحملن إليهم، فحملن، فتناسلوا فسمي المكان (طَبَرزنان) أي الفؤوس والنساء، ثم عربت فقيل طبرستان).

قال ياقوت مُعلقاً على هذه الرواية الطريفة: والذي يظهر لي وهو الحق، ويعضده ما شاهدناه منهم، أن أهل تلك الجبال كثيرو الحروب، وأكثر أسلحتهم بل كلها: الأطبار حتى إنك قلّ أن ترى صعلوكاً أو غنياً إلا وبيده الطبر، صغيرهم وكبيرهم، فكأنها لكثرة ما فيهم سميت بذلك، ومعناها موضع الأطبار[3].

---

(1) أشباً: مُلتفاً بالأشجار (**اللسان / أشب**).

(2) لا شك أنهم قالوا: تَبَرها . . . تَبَرها لأن الفرس في هذه الكلمة لا ينطقون الطاء وإنما يبدلونها تاءً وقد جاء في: **فرهنك فارسي ـ عربي** لعناية الله فاتحي، مادة تَبَر: الفأس.

(3) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 13/4 وما بعدها. وياقوت هو ياقوت=

وتسمى طبرستان اليوم مدينة رشت[1]. أقول وقد زرتها فوجدتها مدينة جميلة، أهلها طيبون يتمذهبون بالمذهب الإمامي، يساعدون الغريب ويكرمون الضيف. وكان زارها مستشرق اسمه (رابينو Rabino) سنة 1917م وقال إن عدد سكانها ثلاثون ألف نسمة. وتشغل الأسواق قسماً كبيراً من سرّة المدينة التي تتخللها طرقات ضيقة مظلمة. وأشهر المساجد فيها (مسجد صفي) وفي ساحة هذا المسجد تلقي النساء قطع الفضة ليستجيب الله لدعائهم. وقد اشتهرت نساء رشت دائماً بالاستهتار، ويذكر مولاي سعيد جيلاني أحد شعراء هذه البلاد: أن شابات رشت أشبه بالطواويس الثملة. فقد جرين على أن يلتمسن المشتري وهن ممسكات بعقدة سراويله[2].

والسكان جميعاً من الشيعة أللهم إلا عدداً قليلاً من البهائية. ولا تزال بعض آثار الديانة الزرادشتية يمارسونها مثل عادة إشعال النار والقفز عليها (جهار شنبه آخر سال)[3].

2ـ النار المجوسيّة في شوارع كربلاء:

أقول: وهذه الممارسة التي سمّاها السائح (رابينو) باسم (چهار شنبه آخر سال) هي معروفة لدى المسلمين ويقال لها مناسبة (آخر

= الحموي (1229ـ1179م): مؤرخ لغوي وجغرافي عربي روميالأصل، ولد بالأناضول (تركيا) رحل إلى إيران ثم انهزم أمام جيوش جنكيزخان، وأقام بالموصل زمناً قصيراً ثم سافر إلى مصر فحلب حيث قضى بقية أيامه. له: معجم البلدان، معجم الأدباء.

(1) **المراسيم العلوية**، سلار بن عبد العزيز، ص13.

(2) **دائرة المعارف الإسلامية المترجمة**، 106/10.

(3) المصدر السابق نفسه.

أربعاء من صفر) حيث يعتبر هذا اليوم عندهم أشد الأيام نحساً ليس عند العراقيين فحسب، بل عند غالبية واسعة من المسلمين، نذكر منهم المصريين فهم يعتقدون أن يوم الأربعاء من الأسبوع الأخير من شهر صفر من الأيام النحسة فيعمد الكثير منهم إلى البقاء في منازلهم وذلك بسبب إيمانهم أن المصائب تقع على الإنسان في هذا اليوم، رغم أن رسول الله ﷺ استنكر هذه الأساطير[1].

ويتشاءم الهنود الشيعة من هذا اليوم كذلك ويطلقون عليه (چهار شنبه سور) ومعناه: يوم الأربعاء الذي تصدر فيه آخر نفخةٍ في (الصور) يوم الحشر، ومن أجل هذا اليوم تخبز الفطائر وتقرأ الفاتحة عليها عدّة مرات للنبيّ[2].

وكان الكربلائيون يتجنبون السّفر في هذا اليوم، وإن اضطروا إلى ذلك، دفعوا صدقةً عملاً يقول النبي ﷺ: «مَن سَرّه أن يرفع الله عنه نَحس يومه، فليفتح به بصدقة»[3].

والعراقيون بعامة لا يرتاحون إلى يوم الأربعاء فلا يسافرون فيه ولا يتزوجون ولا يعقدون صفقةً مهما كانت، كما أنهم لا يرتاحون إلى شهر صفر ويعتبرونه شهراً نحساً، وآخر أربعاء فيه تجمع بين النحسين.

---

(1) المصريون المحدثون... شمائلهم وعاداتهم، أدورد لين، **مجلة الرسالة المصرية**، عدد 473 لسنة 1942م ص 726.

(2) **دائرة المعارف الإسلامية المترجمة**، 511/1.

(3) **الكافي**، الكليني، ص6.

وقال (السريّ الرفّاء) في ذلك:

أربعاءٌ حسابه مشهورُ حين يأتي وشَرُّه محذورُ

نتوقّاه أول الشهر إن دا ر ونخشاه آخراً لا يدور

وأذكر من تقاليد الكربلائيين التي كانت متَّبعة حتى حدود خمسينيات القرن الماضي أنهم كانوا عندما ينصرم شهر صَفر يحتفلون فرحاً بانقضائه فيقوم الأطفال بإشعال النيران في الشوارع ليلاً وهي نار عظيمة توقد من سعف النخيل الجافّ ثم يعبرون عليها قفزاً جيئة وذهاباً وهم يهزجون بأصوات عالية:

راح صُفَر جانه ربيع

يا محمد يا شفيع



طقس القفز على النار

ويقوم بعضهم بتجهيز جرار الفخار بالماء ووضع قطع من النقود

داخلها ثم يكسرونها في الشارع فيلتقط الأطفال تلك النقود التي تعتبر صدقة وبهذه الممارسة يعتقدون أن الشرَّ قد زال عن الناس وجاء الخير الذي يرمز إليه بانسياح ماء الجرار على الأرض مجيء النور الذي يرمز إليه بإشعال النار.

3ـ إحراق الخيام وإطفاؤها بالأجساد والأقدام:

وهذا طقس آخر مبتدع يُمثّل فيه هجوم جيش يزيد على خيام الحسين وحرقها وذلك بعد مقتل الحسين. فتنصب خيام في ساحة المخيّم بكربلاء أو في الشارع العريض بين الحرمين. ويقوم عدد من الناس يمثلون جنود أهل الشام فيقومون بإحراق تلك الخيام فيتصاعد لهيبها إلى عنان السماء، وبعد ذلك يهجم أناس آخرون وهم شبه عراة، حفاة الأقدام فيأخذون بإطفاء النار بأيديهم وأرجلهم دوساً ولا يهمهم ما يصيبهم من أذى وهم يهتفون: والخيام حرگوهه وباب الصحن سدّوهه. وعندما تنطفئ النار يهجم الناس رجالاً ونساء على ما يتبقى من الخيام بعد الحرق كقطعة قماش أو خشبة متفحّمة ويحتفظون بها لكونها تجلب البركة والخير.

ويحدّثنا الدكتور إبراهيم الحيدري عما شاهده في مدينة الكاظمية من (تمثيلية إحراق الخيام) فيقول:

بعد مقتل الحسين تهجم عساكر بني أمية على مخيم أهل البيت ويأخذون بنهبه وحرقه. وفي تلك اللحظات يخرج الأطفال من المخيم في حالة ذعر وهلع حيث يمسك بهم جنود من بني أميّة ويربطونهم

ببعضهم بالحبال والسلاسل الحديدية في حين يأخذ جنود آخرون بضربهم بالهراوات والعصيّ وفي هذه الأثناء يرتفع صوت الأطفال الأسرى بالصراخ:



مشهد تمثيلي لحرق الخيم

- إلحگ يبونه يا علي ، والخيام حرگوهه

ومعنى ذلك: الحق بنا يا جدنا يا علي لقد أحرقوا الخيام علينا.

وبعد حرق المخيم ونهبه يهجم الجمهور المحتشد على الخيم المحترقة وهم يضربون على رؤوسهم بأيديهم محاولين في الوقت نفسه إطفاء النيران المشتعلة بأيديهم وأرجلهم وهم يهتفون: أويلاخ يمظلوم. ويحاول كل واحد منهم الحصول على أية قطعة محترقة من

الخيم أو قليلاً من الرّماد للاحتفاظ به للتبرك واستعماله كدواءٍ شافٍ أو استخدامه تعويذةً أو حجاباً[1]".



إطفاء النار بالأرجل

4ـ طقسُ إحراق الأجساد في مناحات الشعوب غير المتحضرة :

ولا شك أن المتفجعين الهاجمين على الخيام المحترقة يطفئونها بأيديهم وأجسادهم وأقدامهم، لاشك أن أيديهم وأجسادهم وشعورهم تتشيط بلهيب النار، وتحترق أقدامهم بالجمر المتّقد ولكنهم لا يحسون بالألم لِطُغيان سورة الوجد الداخلي على مناطق الإحساس فتعطلها فينعدم الإحساس بالألم.

---

(1) كتابه، **تراجيديا كربلاء.. سوسيولوجيا الخطاب الشيعي**، 125 / ط. الأولى 1999م ـ دار الساقي ـ بيروت ـ لبنان.

ويعتبر بعض الناس أن الظاهرة إنما هي إحدى معاجز الحسين ولكنها ليست كذلك فكثير من الشعوب البدائية وغير المتحضرة تقوم بالطقوس نفسها لموتاهم دون أن تجعلها في نطاق المعجزة.

يحدثنا عالم الإثنولوجيا والفولكلور السير جيمس فريزر عن بعض قبائل هنود (ألاسكا) أنهم يقومون عند موت أحد من أقربائهم بحرق شعورهم أو تشييطها بأن يزجّوا برؤوسهم في لهيب النار المضطرمة المعدة لحرق الجثث بينما يكتفي البعض الآخر الذين يَتَّسمون بشيء من التعقل في تصرّفاتهم بقصّ شعورهم وطلاء وجوههم برماد الجثّة المحترقة[1].

وقد ذكر العالم نفسه نماذج أخرى لقبائل غير متحضرة تفعل الفعل نفسه.

5ـ استخدام الأساطير للحَضّ على التطبير:

نجد في جُعبة المفتين ـالداعين إلى حِليّة التطبير وضرورته بل ووجوبه عند بعضهم- عدداً كبيراً من الأخبار الأسطورية والحكايات الخرافية، يثقفون بها عقول الناس البسطاء وجهلتهم ويتوصلون عن طريقها إلى إقناعهم بشرعية ممارساتهم الهمجية.

وقد استفاد هؤلاء من أساطير (بحار الأنوار) للمؤرخ محمد باقر المجلسي[2] فَلَوَوا أعِنَّتها نحو مرادهم.

---

(1) فريزر، **الفولكلور في العهد القديم**، 181/2، ترجمة: نبيلة إبراهيم ومراجعة د. حسن ظاظا، طبعة الهيئة المصرية للكتاب.

(2) محمد باقر المجلسي أحد الفقهاء الشيعة المشهورين (1037 ـ 1111هـ)=

ومن هذه الأساطير: إن الله تعالى أسال الدم من إبراهيم وموسى عليهما السلام حين مرورهما بأرض كربلاء فشجَّ رأس الأول وجرح رِجل الثاني. وكان إبراهيم راكباً فرساً فعثرت به وسقط وشج رأسه وسال دمه فأخذ في الاستغفار وقال: إلهي أي شيء حدثَ مني؟ فنزل إليه جبرائيل عليه السلام وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذلك ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء فسال دمك موافقةً لدمه[1].

وحَرّف بعض هؤلاء ما ورد عن رسول الله ﷺ ضرورة الحجامة في الرأس المسماة بـ(المنقذة) أي المنقذة من الأمراض. فقال: يعني أن رسول الله قد حثّ على التطبير.

ومنهم من اخترع حادثة ضرب زينب رأسها بعمود الهودج فسال دمها، ولذلك يجب علينا أن نواسيها بإسالة الدم من رؤوسنا.

ومنهم من أخبر عن رؤية الإمام الثاني عشر (المهدي المنتظر) وسأله عن حلية التطبير فأجازه حيث رووا عن آية الله العظمى زين الدين النجفي، نقلاً عن بعض الشيعة أنه التقى بالإمام الثاني عشر، الإمام المهدي عليه السلام فسأله عن حكم التطبير فأجازه. وقد ذكر هذه القصة حفيده في كتابه[2]. وهناك خرافات كثيرة تروى في هذا الباب.

= في زمن الدولة الصفوية. يحتوي كتابه الكثير من الأحاديث ويعدّ أكبر كتب الحديث حيث يتكون من 110 مجلدات، ويدخل ضمن هذه المجلدات أربع مئة كتاب ورسالة ويعدّ وحده بمثابة مكتبة كاملة. وقد ضمَّت الأخبار الواردة فيه كثيراً من الأساطير. وسئل صاحبه عن ذلك فقال: هو بحر فيه الدرّ وفيه الصَّدَف. ذكره المحقق آغا بزرك الطهراني في (الذريعة إلى تصانيف الشيعة).

(1) **البحار**، ج44، ص243.

(2) **بيان الأئمة**، ج2 ص462.

ولكن السؤال الذي يُطرح في وجوه هؤلاء المفتين ويبطل به فتاواهم هو:

- لماذا لم نجد أحداً منكم ينزل إلى الشارع ويطبر رأسه؟ إنكم كهذا الذي يحرّم الصهباء صُبحاً، ويشربها على عمدٍ مساء.

ثم أعطونا إماماً من الأئمة المعصومين شهر سيفه في الشارع ولبس الكفن وراح يضرب به رأسه ويرقص على أنغام الطبول والأبواق والصنوج، صارخاً: حسين . . حسين . . حيدر . . حيدر.

6ـ (بين الطَّبر والبلطجي):

وتجمع كلمة (الطّبر) على (أطبار) ويسمّى أيضاً (بلطة) حسبما جاء في (دوزي)[1]. والبلطة ضربٌ من الفؤوس، من التركية معرّب (بالته) وهي فأسٌ كبيرة معروفة الآن وقيد الاستعمال ويكون حدُّها القاطع موازياً لقضيب الخشب الذي تدخل فيه[2]. ومنه (البلطجي): حامل البلطة ويجمع على (البلطجية).

والبلطجية: الأشقياء الذين يحملون البلطات ويعتدون على الناس. ويستخدمهم السلطان في بعض الأحيان عندما يثور الشعب عليه فيبيح لهم قتل الناس إذ إنهم لا يضبطهم قانون ولا أخلاق.

وبالمثل يستخدم السلطان حاملي الطبر لحراسته ويطلق عليهم (الطبردارية) أي حاملو الأطبار والواحد (طبردار) والطبردارية حملة الطبر وهم أولاد الجنود يرأسهم أمير وهم في موكب السلطان

---

(1) دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، 13/7، طبعة وزارة الثقافة، بغداد

(2) المصدر السابق نفسه، 429/1

يكونون عن يمينه وعن شماله مستعدين لضرب العدوّ الذي يجرؤ على التقرب من السلطان دون إذن، وعددهم عشرة[1].

وقد اشتقت العامة في العراق من اسم الطَّبر أفعالاً، فقالوا فلان اتطبر يعني جرح رأسه بالطبر، ولكن ليس بالطبر الذي وصفناه وإنما بسلاح آخر يقال له (القامة). وفي المضارع يقولون: راح يتطبّر، أي ذهب ليتطبّر. ومنه سمّوا الجرح في الرأس نتيجة التطبير (طَبرة).

وهكذا وصلت هذه اللفظة من (طبرستان) إلى العراق لتعني تجريح الرؤوس بالأسلحة الجارحة وفي ضمنها الطَّبر، يوم ذكرى مقتل الحسين.

* * *

والبلطجة مهنة يمارسها (البلطجي) والجمع (البلطجية) في مصر، و(بلاطجة) في اليمن أو (التشبيح) ويمارسها (الشّبِّيح) وجمعها (شبّيحة) في سورية هي جميعها نوع من النشاط الإجرامي يقوم من يمارسه بفرض سيطرته على فرد أو جماعة وإرهابهم وتخويفهم بالقوة عن طريق الاعتداء عليهم أو على آخرين، والتنكيل بهم وأحياناً قتلهم لغرض السرقة وقمع الرأي.

وفي الدولة العثمانية كان البلطجي (Baltaci) أحد أصناف العمال في القصر السلطاني، كانت وظيفته في البداية تنظيف الطريق من الأشجار أثناء توجّه السلطان للغزو، ثم استغلّوا في القصر بمختلف المهن مثل إطفاء الحريق وتنظيف غرف المعروضات[2].

---

(1) **تكملة المعاجم العربية**، 13/7.

(2) انظر: **موسوعة ويكيبيديا الحرة** مادة: بلطجي.



رجل يستخدم الطبر في التطبير

وفي مصر يربطونهم بالنظام السابق وأجهزته الأمنية المختلفة التي تستعمل مجرمين سابقين، بائعي ومستهلكي مخدرات أو مرتزقة للقيام بأعمال شغب ضد المتظاهرين في الساحات العامة وداخل الجامعات كما حدث في مصر في ثورة الشعب ضد نظام حسني مبارك في 25 يناير/ كانون الثاني عام 2011م. ومثلما يحدث الآن في العراق (أبريل/ نيسان 2015م) لقمع التظاهرات التي خرجت مطالبة بإسقاط النظام الفاسد الذي استولى على العراق مدعوماً بالدبابات الأمريكية حيث دس رموز النظام الحاكمون والأحزاب الحاكمة أعداداً من المليشيات التابعة لهم لقمع المتظاهرين أو قتلهم أو اختطافهم وإخفائهم.

7ـ نظام البلطجية في رسوم الدولة العثمانية:

كتب (هيوارت Huart) عن هذا النظام قائلاً: البلطجي أي حامل البلطة اسم تركيٌّ قديم أُطلق في نظام البلاط العثماني على فرقة من حرّاس القصر يتألّف من أربع مئة رجل يرأسهم (القزلرأغاسي) وهم يقومون بصفة خاصّة بحراسة أمراء البيت المالك وأميراته فضلاً عن حراستهم للحريم السلطاني ويضعون فوق رؤوسهم قلنسوة من الصوف مدبَّبة الطرف في لون الظباء[1] يقال لها (كلاه)[2] ويعسكرون في (أسكي سراي).

وأفراد هذه الفرقة يصحبون الحريم إبان الحرب ويسيرون إلى جانب العربات الـمُقلَّة لهن ويضربون خيامهم حول أخبيتهن وسلاحهم هو (البلطة) ومن ثم جاء اسمهم.

أما قائدهم فيلقَّب بـ(بالطه جيلر كخياسي) وهو يحمل أوامر السلطان إلى الصدر الأعظم ويساعد الأئمة (أئمة الجوامع) في النزول من المنبر في المولد النبوي.

و(الزلفلو بالطه چي) عبارة عن فرقة قوامها مئة وعشرون رجلاً يلحقون بخدمة أُمناء القصر (خاص اوطه لي) ويأتمرون بأمر (السلحدار)، وقلنسوتهم قِمَّتُها أقل ارتفاعاً من قلنسوة البالطه چي وتتميّز عنها بشريط من الصوف المنسوج يتدلّى فوق خدودهم كالزلف. ومن ثم كانت تسميتهم[3].

---

(1) هكذا وردت الكلمة في تقرير (هيوار).

(2) تسمى في الشعبية العراقية (كلاو)، وفصيحها (طاقيّة) تلبس في الرأس.

(3) دائرة المعارف الإسلامية المترجمة، 304/3.

الباب الثاني

اليوم الدامي

اليوم : العاشر من المحرّم

المكان : المدن والقرى الشيعية في العالم

الوقت : فجراً قبل شروق الشمس

تجتمع أعداد غفيرة من المسلمين الشيعة في شوارع المدن المذكورة على ترتيب طوابير منتظمة في فجر اليوم المذكور وهو اليوم المصادف لليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بمعركة الطفّ بكربلاء سنة (61هـ).

وتتقدم هذه الطوابير فرق من المبوّقين والطبالين والصنّاجين[1]. فيقومون بضرب رؤوسهم الحليقة بالأسلحة الجارحة كالسيوف والقامات ضربات مترادفة وفق إيقاع تلك الآلات، فتتفجر الدماء من

---

(1) جمع صنّاج وهو عازف الصَّنج ، والصَّنج بفتح الصاد يكون في الدفوف ونحوه والاسم عربي ويتخذ من صُفر يضرب أحدهما بالآخر واللاعب به يقال له (الصَّناج) و(الصَّناجة) وكان أعشى بكر يسمى صنّاجة العرب لجودة شعره (**اللسان/ صنج**) . أما المبوّقون فهم نافخو البوق. والطبالون ضاربو الطبل . وطبل التطبير يكون مضلّعاً عادة غير دائري وذا وجهين ويضرب به بواسطة عصا معقوفة الرأس من الخيزران.

رؤوسهم وتلوث أكفانهم -التي ارتدوها مسبقاً- بالدماء، ويعبرون الطرقات على هذه الصورة وهم يصرخون بأعلى صوتهم صرخات متوازنة مع إيقاع تلك الآلات:

- حسين... حيدر... حسين... حيدر

حتى إذا أشرقت شمس الصباح كفّوا عن الضرب والصياح وقد ابتلّت أكفانهم بالدماء المتفجرة من رؤوسهم وغطّت وجوههم ولم يبدُ منها غير العيون وقد هدّها الإعياء.

ثم تتوجّه جموعهم نحو حمامات المدينة فيغتسلون ثم يعودون إلى بيوتهم وقد قرّت أعينهم واستقرّت أرواحهم على أمل أنهم سيدخلون الجنّة بغير حساب رغم تأثمهم بالشرور والموبقات حسبما لقنوا ذلك من بعض المرجعيات الدينية التي تشجع هذه الطقوس الدموية.

* * *

والملاحظ في هذا المشهد أنه خاص بالرجال ولا تمارسه النساء، ولكن يسمح لهن بالتفرج والوقوف جانباً، ثم إنك لن تعدم أن ترى امرأة نذرت ابنها للحسين فجاءت به تحمله أو تقوده إلى موقع التطبير، فتسلمه إلى رجل حاذق بتطبير الأطفال، فيحلق رأسه ثم يجرحه عدة جروح خفيفة في يافوخه بموسى فيخرج منه الدم وبذلك يعتبر -رمزياً- كشهيد ضمن الشهداء الذين استشهدوا مع الحسين في المعركة.

وأذكر من هؤلاء المطبّرين المختصّين بتطبير الأطفال صديقنا السيد محمد ابن السيد جعفر الكربلائي، نزيل إيران، فإنه من أتقن من يقوم بذلك. ويأتي من إيران في اليوم الموعود ليؤدي هذا الطقس طلباً للثواب والأجر.

ويسير مع جوقات المتطبرين أشخاص بأيديهم العِصي الغليظة مهمتهم وضع هذه العصي كحاجز بين رأس المتطبر والسيف ليحمي يافوخه من الضربات المنفلتة إذا اشتدت بالمتطبر سَورة التواجد والغياب في اللاوعي وراح ينهال بشدة على رأسه بالسيف.

كما يسير مع القافلة أشخاص وبأيديهم علب من قطع الحلوى، يحشرونها في أفواه المتطبرين، حيث يعتقدون بأن الحلوى تعيد توازن جسم المتطبر إذا انخفض ضغط دمه من أثر النزف. كما يعتقد أن هذه الحلوى تعيد نسبة الدم المفقود.

ونظراً لضياع هذا الدم بدون فائدة فقد ارتأى بعض المسؤولين في وزارة الصحة أن يقترحوا على المتطبرين أن يتبرعوا بدمائهم في اليوم المذكور لإنقاذ المرضى المحتاجين إلى رفد جسمهم بالدم أثناء العمليات الجراحية، فرفض المتطبرون ذلك إلا بإجازة المرجعيات الدينية فأجازت بعض المرجعيات[1] فسارت مجموعات قليلة من

---

(٦) وقد وقف أحد المراجع ضد هذه الفتوى وهو السيد صادق الشيرازي حيث وجِّه إليه السؤال التالي : هل التطبير أفضل أم التبرع بالدم دعماً للمجاهدين في جنوب لبنان والشعب الفلسطيني المظلوم؟
الجواب : التطبير من الشعائر الحسينية التي قال باستحبابها المراجع الكبار وهو أفضل.
عن موقع (ملتقى النهرين) نقلاً عن موقع علي الإبراهيمي: A1980a24@gmail.com

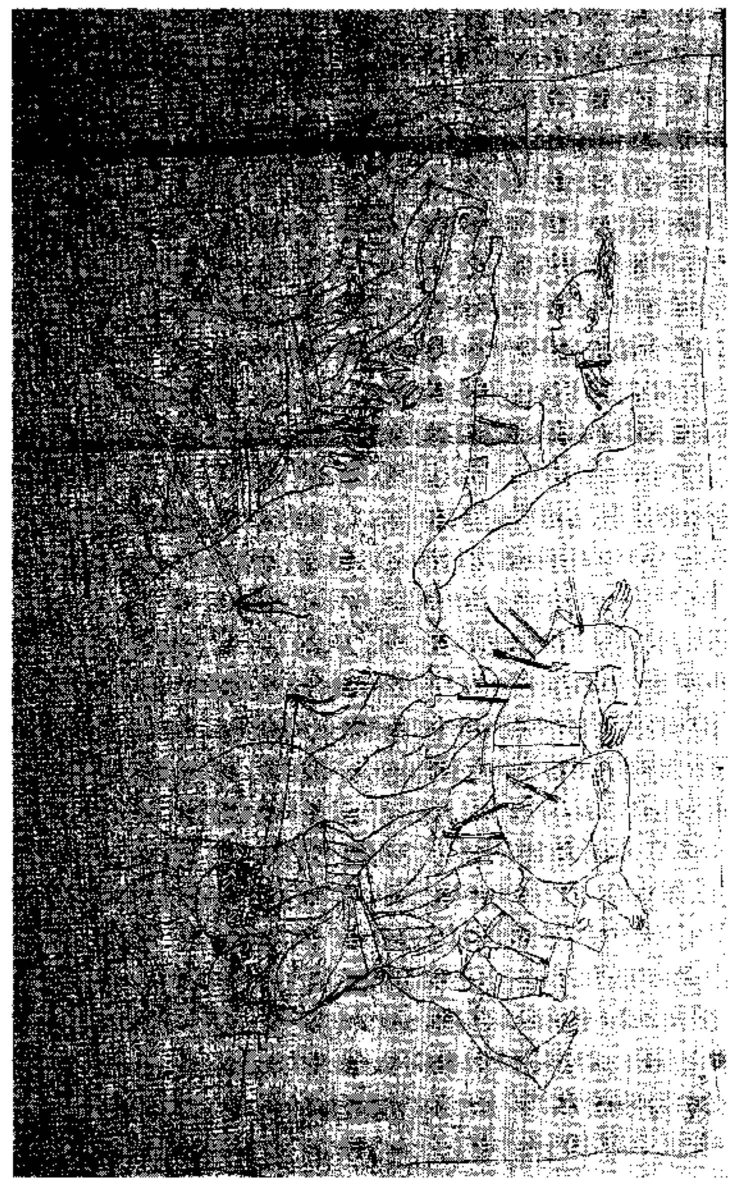
المتطبرين إلى المستشفيات وتبرعوا بدمهم، إلا أن الغالبية العظمى منهم أبوا ذلك وفضّلوا سفح دمائهم على الأرض تشبهاً بدماء الحسين التي سفحت على الأرض.

ومن التقاليد التابعة لهذه الظاهرة قيام بعض الناس بشراء الأكفان وتوزيعها على كل من يبغي التطبير طلباً للثواب!!! وشاع في حينها أن الإنكليز عندما احتلوا العراق شجعوا ظاهرة التطبير، وأخذوا يوزعون الأكفان على من يروم التطبير مجاناً لاستمالتهم إليهم ولغرض إبقائهم على جهالتهم فيسهل السيطرة على عقولهم وهذا هو دأب المستعمرين في كل زمان ومكان.



موكب تطبير تتقدمه آلات الطبل والصنوج والأبواق

= وانظر كلمة السيد صادق الشيرازي في تحبيذ التطبير في كتاب: **التطبير، حماسة الشيعة في عاشوراء**، حسين الموسوي الفالي، ص4، نشر الروضة العباسية المقدسة.



من تخطيطات الفنان فيصل لعيبي صاحي

تطبير النساء

وكان الطابع السائد على شعائر التطبير المبتدعة أنها منذ نشأتها تخص الرجال فحسب ولا تمارسها النساء ولكن حدث في كربلاء بعد سقوط النظام الصدامي (سنة 2003م) ابتداع جديد هو أن بعض النساء اللواتي ينتمين إلى مرجعية دينية إيرانية في كربلاء قمن بممارسة التطبير، كما روى لي تلميذي أسامة السيد جعفر.

ثم أكّد لي صديق آخر أنه في العام (2013م) تطبرت حوالي (500) امرأة في حسينية (العترة الطاهرة) طبرّتهن امرأة، بينما في العام (2012م) كان عدد المتطبرات حوالي (200) امرأة وكانت المتطبرات من أهل المدينة، وقد ذهبن بعد التطبير إلى بيوتهن مباشرة. أما من كنّ منهن خارج المدينة (من الأرياف أو محافظات أخرى) فبقين ليلة في الحسينية برعاية بعض نساء الحسينية المذكورة ثم سافرن إلى مدنهن. ثم ازداد عدد النساء في السنوات التالية أضعافاً.

والتقليد هذا ليس مقتصراً على كربلاء فقد شوهد في لبنان في النبطية بحدود سنة 1975م حيث ظهر خلال مسرحية أقيمت هناك في الهواء الطلق على مسرح خشبي في (النادي الحسيني) فإنه بعد انتهاء المشهد الأخير تصل مجموعة كبيرة من ضاربي السيوف والخناجر

وتخترق المشاهدين المحتشدين أمام المسرح وهم يلبسون الأكفان ويضربون بالسيوف على رؤوسهم الحليقة ويردّدون: حيدر... حيدر. فتلطخ وجوههم وأكفانهم بالدماء وبعضهم كان يسقط على الأرض من الإعياء. وعندها يخرج عدد من الفتيات الصغيرات يشكلن مجموعة صغيرة كن يسرن منفردات خارج الموكب وقد أحدثن في رؤوسهن جروحاً خفيفة وهن يبكين ويولولن مواساة لأطفال الحسين. يقول إبراهيم الحيدري: وفي الواقع إن هذه المجموعة الصغيرة من الفتيات تكون ظاهرة جديدة وفريدة وقد بدأت بالنبطية منذ سنوات قليلة، كما أخبرني أحد الثقات ولم أجد لها مثيلاً في مراسيم العزاء الحسيني في الدول العربية والإسلامية الأخرى[1].

ثم يتابع السيد إبراهيم الحيدري حديثه فيقول:

وإلى جانب هذه الظاهرة الفريدة هناك ملاحظة جديرة بالاهتمام هي مشاركة أعداد ليست قليلةً من الفلسطينيين، نساءً ورجالاً في هذه الاحتفالات المرتبطة بالشيعة، مع أنهم من أبناء السّنة وهو أمرٌ يشير في الواقع إلى التقارب والتضامن الاجتماعي - السياسي الذي أفرزه الصراع العربي الإسرائيلي ولعب دوراً توحيدياً بين الفئات والطوائف والأديان في لبنان. كما يعود ذلك إلى دور الإمام موسى الصدر[2] في

---

(1) إبراهيم الحيدري، **تراجيديا كربلاء**، المصدر السابق، ص69.

(2) الإمام موسى الصدر: عالم ديني ومفكر وسياسي شيعي وهو ابن السيد صدر الدين الصدر المنحدر من جبل عامل في لبنان. ولد عام 1928م وفقد أثناء زيارته لليبيا عام 1978م واتهم الرئيس معمر القذافي الراحل رئيس الجماهيرية الليبية بقتله. وَحّد الشيعة وجعلهم=

توحيد الصفوف في الجنوب اللبناني، للوقوف بوجه العدو الصهيوني الذي شكل في النصف الثاني من هذا القرن عاملاً هاماً من عوامل تطور العزاء الحسيني وازدهاره في لبنان والعراق[1].

أقول: ولا شك أن بدعة تطبير النساء قد انتقلت إلى كربلاء مقابسةً من بدعة النبطية بعد سقوط النظام الصدامي سنة 2003، إذ كانت عناصر النظام تطارد المتطبرين وتعدم بعضهم. وكذلك ممارسي الشعائر الحسينية تقتلهم وهم في طريقهم إلى كربلاء.

= قوة ضاربة يحسب لهم حساب في لبنان بعد أن كانوا طائفة مهملة. للتفصيل انظر **موسوعة ويكيبيديا الحرة**، مادة: الإمام موسى الصدر.

(1) **تراجيديا كربلاء**، المصدر السابق، ص 170.

تطبير أصابع الصِّبيان

وأذكر من مظاهر أربعينيات القرن الماضي في هذه المناسبة، أن الأولاد الذين لم تتهيأ لهم فرصة الانضمام إلى مواكب المتطبرين أو كانوا يخافون منها، كانوا يطبرون أنفسهم بأنفسهم بطريقة غريبة مبتدعة من أفكارهم الطفولية، حيث يعمدون إلى تكفين أصبع السبّابة من يدهم بقطعة من القماش بيضاء صغيرة أو بورقة بيضاء من الدفتر المدرسي ويعرّون السلامية العليا من الأصبع لتكون بمثابة رأس المتطبر ثم يأتون بشفرة حلاقة فيجرحون بها باطن السلامية فيخرج الدم. وكان رفاقي في (المدرسة الخزرجية الابتدائية) يفعلون هذا أمامي وكانوا يفخرون بذلك ولم أجرؤ أنا على تقليدهم خوفاً من الألم، إذ كنت جباناً في هذا الشأن.

وكان كثير من الأطفال يأخذهم آباؤهم إلى مكان التطبير ويطلبون من أحد المختصين بتطبير الأطفال أن يقوم بتطبيره فينفذ المختص ذلك وكان بعض الأطفال صغاراً حديثي الولادة، يأخذهم أحد آبائهم إلى المطبّر فيجرح رأسه جروحاً خفيفة.

وقد كثر هذا التقليد حتى سئل أحد الفقهاء في جواز ذلك وهو الشيخ محمد إسحاق الفياض:

هل للأب ولاية على الولد الصغير بأن يجرح رأس ولده حتى خروج الدم (التطبير) في اليوم العاشر من المحرم؟ وما إذا كان الولد صغيراً جداً؟

الجواب: لا يجوز للولي ذلك وليس له ولاية جرح رأسه وإخراج الدم منه[1].



موكب تطبير تتقدمه آلات الطبل والصنوج والأبواق

(1) علـي الإبراهيمـي، مختصر حكم الفقهاء في التطبير وسير النساء، موقعـه الشـبكي: A1980a24@gmail.com

ذبح الأطفال

تقول الكاتبة الإنكليزية القديرة (فريا ستارك) في كتابها المشهور صور بغدادية[1] إن الشيعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي يحيون ذكرى الحسين ويعلنون الحداد عليه في العشرة الأولى من المحرم حتى يصل بهم حَدُّ الأحزان أن تخرج الجموع حاملة النعش بجثته المذبوحة. ثم تقول: إن هذه المواكب التي تقام في بغداد والمدن المقدسة يعرف مجيئها من بعيد بصوت اللّطم على الصدور العارية.

وتقول إن الأطفال الإيرانيين الموجودين في الكويت يؤخذون إلى (الـمُلّا) في اليوم العاشر من المحرّم ليمرِّرَ تحت ذقونهم إمراراً رمزياً سكينة كبيرة (تقصد القامة) للدلالة على فروض التضحية والفداء.

ثم تقول: وهكذا تمرُّ الحقيقة الناصعة من الميثولوجيا إلى الديانة الحقّة، ومن الديانة إلى التصوف. وتقول عن قصة الحسين: إنها تتغلغل في كل شيء حتى تصل إلى الأُسس وهو من القصص القليلة التي لا أستطيع إيرادها قط دون أن ينتابني البكاء[2].

---

(1) صور بغدادية Baghdad Sketche المطبوع سنة 1937م ص145.

(2) موسوعة العتبات المقدسة، جعفر الخليلي، قسم كربلاء (2/ 380).

أقول: لا شك أن عملية إمرار السكين الكبيرة تحت ذقن الطفل هي بمثابة ذبح رمزي للطفل الذي يعتبر حسب هذه الممارسة كأضحية من أضاحي الفداء تقدم أمام الحسين.

وقد كان هذا الطقس يمارس قديماً لدى الشعوب الوثنية حيث كانت لديهم آلهة يقدمون لها الأضاحي البشرية من الأسرى من غير ديانتهم سواءً أكانوا نساءً أم رجالاً أو أطفالاً.

ومن أشهر هذه الآلهة، الإلهة (العُزى) المذكورة ضمن ثالوث (الغرانيق) التي عبدها العرب.

وكانت هذه الإلهة قاسية القلب جداً كأنثى، فكانت تحبُّ ذبح ضحاياها من البشر وتتلذَّذ بطعم دمائهم. وكان ملك الحيرة (المنذر الرابع) مخلصاً لها، فضحّى لأجلها ابن الحارث الجفني ملك غسان. وكان الولد وقع أسيراً بيده كما ضحى لها بأربع مئة راهبة كن يعبدن الله في بعض أديرة العراق.

وكان المنذر هذا متنسِّكاً متديناً بديانتها ولا يقسم إلا بها، ولشدة تقواه عمل لها تلك الوليمة المقدّسة من الراهبات المذبوحات.

وذكر أن (آل لخم) ملوك الحيرة، كانوا ينحرون الأسرى قرباناً للعزى، وكان العرب يقدمون الأولاد والبنات قرابين للنجمة (كوكبتا) وكوكبتا هي (العزى)، وهي الزهرة كذلك.

وذكر (نيلوس Nilus) أن من عادة بعض قبائل الأعراب تقديم أجمل الأسرى إليها ليذبح وقت بزوغها في الصباح. وقد وقع ابنه

(تيودولوس) أسيراً بأيديهم حوالي سنة (400م) فهُيِّئَ ليذبح قرباناً إلى الزهرة، غير أن أحوالاً وقعت أفاتت عليهم الوقت المخصص لتقديم الذبائح، فأُنقذ من الذبح واكتفى آسروه ببيعه في أسواق الرقيق بـ(ألوسة)[1].

ومن الملاحظ في عملية التطبير أن المتطبرين الذين يعتبرون رمزياً ضحايا بشرية تقدم للحسين أنهم يمارسون التطبير فجراً قبل شروق الشمس كما في حال تقديم الضحايا للعزى قبل شروق الشمس[2].

وكانت ذبائح الأطفال تمارس قبل ظهور بني إسرائيل بزمن ومنها ذبائح نذرية حيث تنذر أبكار المواليد لِوَثَن يطلق عليه اسم (مولك) أي ملك وكانت الأطفال تحرق في معبره[3].

ومارس النبي إبراهيم هذه العادة فأخذ بكره (إسحاق) حسب التوراة أو (إسماعيل) حسب القرآن الكريم ليذبحه بأمر من الله فكانت النتيجة فداءهما بالكبش الموصوف بالذبح العظيم.

* * *

وكان الطفل أو الولد بعد الذبح تحرق جثته ويوضع رمادها

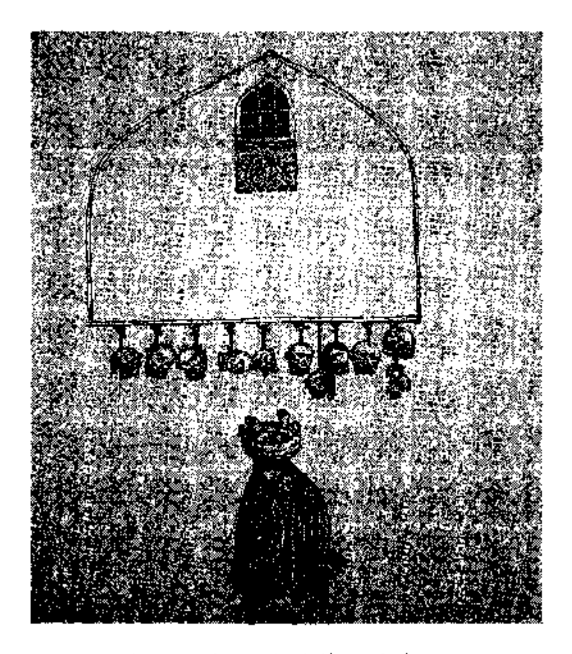
---

(1) **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، د. جواد علي، 6/ 198، 238.

(2) للتفصيل : انظر كتابنا، **الخناقون ورسيس القتل الطقسي**، ص 27 وما بعدها.

(3) **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم**، للخوري بولس الفغالي، ص 1227.

في جَرّةٍ يدفونها في موضع مقدس خصص لهذه الغاية. وبعد القرن السابع انتشرت عادة وضع نُصبٍ فوق الجرّة الذبائحية يحمل عبارة تدلُّ على اسم مقدمه. وقد دلت هذه المدونات مراراً على أننا أمام ذبيحة جاءت نتيجة نذر نذره المؤمن إما للتكفير عن خطيئة ارتكبها أو أن يقدم المؤمن بِكره لله كما في حالة إبراهيم[1].



من تخطيطات الفنان فيصل لعيبي صاحي

(1) المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، ص 548

نَذر تطبير البِكر في التاريخ

نذر تطبير المولود البكر هو أحد النذور العديدة المعروفة عندنا، ومفاده أن المرأة إذا أرادت أن تلد بكراً ذكراً فإنها تنذر أن تقوم بتطبيره. وعندما يتحقق نذرها تأخذه وهو وليد رضيع، وتذهب به إلى موضع خاص أعدَّ لهذا الغرض فتسلمه إلى رجل خبير بالتطبير[1] فيقوم بتجريحه جراحات خفيفة في رأسه، ثم تعود به إلى البيت وقد وفت نذرها.

ومفهوم هذه الممارسة أن الأم قد نذرت وليدها البكر من البطن ذبيحة للحسين ففدي بالتجريح تعويضاً عن الذبح.

إن نذر ذبح الابن البكر على هذه الصورة يمثل عقيدة قديمة مارستها الشعوب البدائية ومارسها بنو إسرائيل زمن بداوتهم وتمثلت بعزم إبراهيم الخليل ذبح ابنه إسماعيل بكره من زوجته المصرية (هاجر) وجاء ذلك في القرآن الكريم: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ * فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ * وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ *

---

(1) راجع الباب الخامس، تطبير الأصابع.

قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ * وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وفي التوراة يكون الذبيح (إسحاق) بكر إبراهيم من زوجته سارة حيث جاء فيها:

إن الله امتحن إبراهيم فناداه (يا إبراهيم) فأجاب (لبيك) فقال له (خُذ ابنك وحيدك إسحاق الذي تحبه وانطلق إلى أرض الـمُربّا وقدمه مُحرقةً على أحد الجبال، فاستيقظ إبراهيم في الصباح التالي، وأسرج حماره وأخذ اثنين من غلمانه وابنه إسحاق وجَهَّزَ حطباً للـمحرقة وانطلق ماضياً إلى الموضع الذي قال له الله عنه. وفي اليوم الثالث، تطلع إبراهيم فشاهد المكان من بعيد، فقال ابراهيم لغلاميه (امكثا هنا مع الحمار، ريثما أصعد أنا والصبيّ إلى هناك لنتعبّد لله ثم نعود إليكما. فحمَّل إبراهيم إسحاق حطب المحرقة وأخذ هو بيده النار والسكين وذهبا كلاهما معاً. وقال إسحاق لإبراهيم أبيه: (يا أبي). فأجابه: (نعم يا بُني). فسأله: (ها هي النار والحطب ولكن أين خروف الـمحرقة؟) فردّ عليه إبراهيم: (إن الله يدبّر لنفسه الخروف للمحرقة يا بني وتابعا سيرهما معاً).

ولما بلغا الموضع الذي أشار إليه الله شَيد إبراهيم مذبحاً هناك ونَضَّد الحطب ثم أوثق إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب ومدّ إبراهيم يده وتناول السكين ليذبح ابنه فناداه ملاك الرب من السماء قائلاً (إبراهيم... إبراهيم) فأجاب: (نعم) فقال: (لا تمدّ

---

(1) سورة الصافات، الآيات: 101 ـ 107.

يدك إلى الصبي ولا توقع به ضراً لأني علمت أنك تخاف الله ولم تمنع ابنك وحيدك عنّي) وإذ تطلع إبراهيم حوله وخلفه رأى كبشاً وقد علق بفروع أشجار الغابة فجاء به وأصعده مُحرقةً بدل ابنه إسحاق[1].

ومنذ ذلك الزمان تَقَرَّرَ أن تذبح الكباش تعويضاً عن ذبح أبكار المواليد التي كانت تقدم قرابين لله كما أصبح لاحقاً تطبير أبكار المواليد تعويضاً عن ذبحهم قرابين للحسين الذي يعتبر إلهاً في باطنية اللاوعي.



طقس تطبير الأطفال

(1) التوراة، سفر التكوين، 1/ 14-22.

الباب السابع

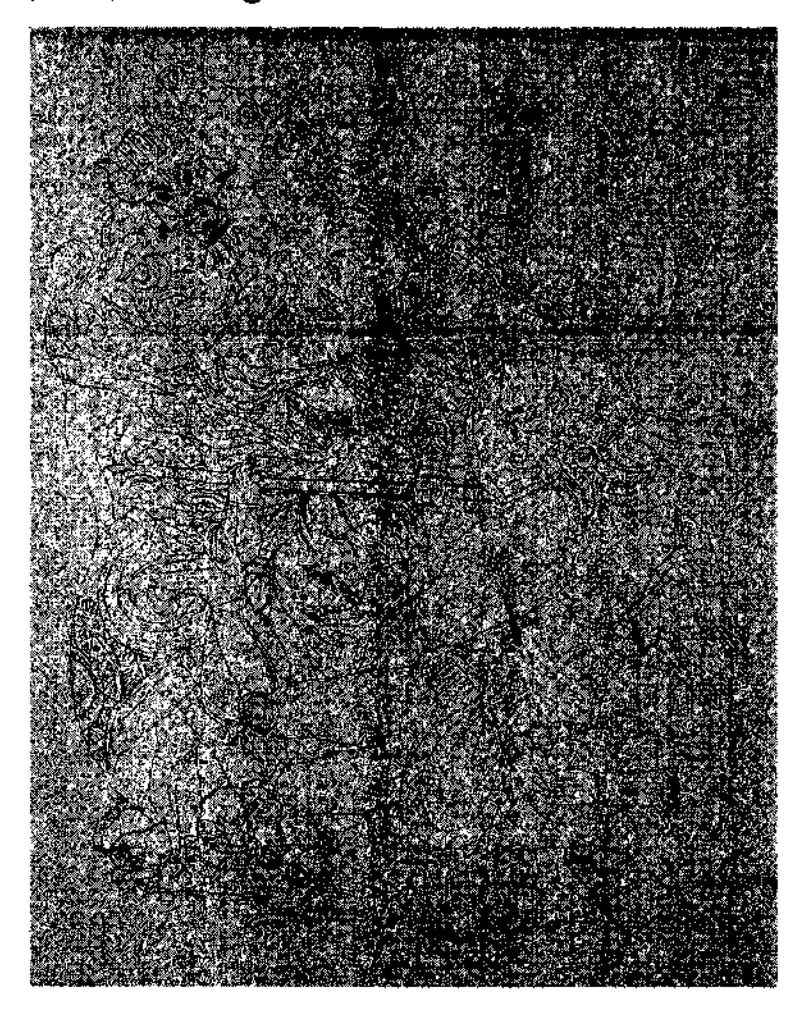
تخدير الجسم خوفاً من ألم التطبير

نعود إلى مسرح التطبير لنتفحَّص طبيعة الأشخاص الذين يقومون بتطبير أنفسهم طوعاً فنجد فيهم المؤمن المقتنع الذي يجهّز نفسه بلوازم التطبير قبل أيام من الموعد المحدّد وكأنه ذاهب إلى لقاء حبيب. وهذا الشخص يمكن أن نجعله ضمن طابور الشجعان الذين يطبرون أنفسهم دون تبجّح بحركات لافتة للأنظار.

كما نجد فيهم المتباهي بشجاعته المغترّ بنفسه وهو يلبس الكفن الأبيض الفضفاض ويمسك بيديه الاثنتين سيفين طويلين ويرقص بين الصفوف كفارس يجول في ساحة المعركة ويضرب رأسه تارة بهذا السيف وتارة بالسيف الآخر والدماء تصبغ وجهه وتلوّن كفنه، وعيناه زائغتان نحو الجموع المحتشدة تتطلعان إلى حشد النساء عسى أن تكون (عبلة) بينهن ليريها كيف تكون فروسية (عنترة العبسي).

إلّا أننا لن نَعْدمَ وجود أشخاص جبناء تخونهم الشجاعة فيخافون من الألم الذي تحدثه آلة التطبير وهي تنهال على رؤوسهم فتبضعها. فلذلك كان هؤلاء يعمدون إلى تخدير أجسادهم قبل القيام بالتطبير فيشربون بعض الأشربة الكحولية أو يتناولون الحبوب المخدّرة المزيلة للألم. وقد حدثني السيد أسامة جعفر نقلاً عن صديقه

الصيدلي. قال: إن بعض الشباب المزمعين إجراء التطبير يأتون إلى صيدليته فيشترون حبوباً مهدئة، الغاية منها دفع إحساسهم بالألم.



من تخطيطات الفنان فيصل لعيبي صاحي

تطبير من غير ألم

ولا يقتصر الخوف من ألم التطبير على مَنْ أسلفنا ذكرهم فإن أهالي شفاثة كانوا في بداية أمرهم - بحدود أربعينيات القرن الماضي- يخافون من ألم التطبير أيضاً، فابتكروا أسلوباً يكونون فيه من المتطبرين ولكنهم في الوقت نفسه ليسوا متطبرين.

والأسلوب هذا-حسبما حدثني عنه الصديق (عبد الحسن هلِيّل) وهو من أهالي شفاثة التي تبعد عن كربلاء حوالي ثمانين كيلومتراً إلى جهة الغرب. حدثني قائلاً:

إن أهالي هذه الناحية أحبّوا أن يقلِّدوا أهالي كربلاء في التطبير يوم العاشر من المحرم، ويعملوا مثلهم مواكب تسير في شوارع الناحية، ولكنهم خافوا من العملية من ألم الآلة الجارحة وهي تجرح رؤوسهم، إذ لم يكونوا مارسوها قبل ذلك، فاجتمعوا وتداولوا الأمر فيما بينهم وقالوا: إن هذا عيب علينا، كل الشيعة في المدن تتطبر ونحن هنا قاعدون نخاف من ألم التطبير فماذا نفعل؟

فقام واحد ذكي منهم واقترح عليهم أن يذهبوا جميعاً قبل شروق الشمس إلى مكان مجزرة الحيوانات وهم يلبسون الأكفان وبيدهم السيوف والقامات ثم يأخذون من دماء الحيوانات ويلطخون بها

رؤوسهم وأكفانهم ويسيرون بهذه الصورة في شوارع الناحية. فهلّل الناس للاقتراح الذكي فذهبوا إلى مكان المجزرة وطلوا رؤوسهم وأكفانهم وسيوفهم وقاماتهم بدماء الحيوانات وساروا مواكب في شوارع الناحية تتقدّمهم فرق الطبالة وضاربي الصنوج وهم يصرخون على وقع الضربات من الآلات المذكورة:

– حسين... حسين... حيدر... حيدر

ولكن ما هي إلّا دقائق حتى أشرقت الشمس فهجمت أسراب الذباب الجائع عليهم وراحت تمتص دماء الذبائح التي طلوا بها رؤوسهم ووجوههم وتمتص معها دماء أجسادهم أيضاً، فطاروا هرباً إلى منازلهم وتشتت موكب التطبير.

* * *

كما حدثني كذلك، أن أهالي شفاثة في أربعينيات القرن الماضي، كانوا لا يسافرون إلى كربلاء لمشاركة الكربلائيين في تقاليد المآتم الحسينية بسبب وعورة الطريق وضعف حالتهم المادية، فكانوا يقيمون العزاء في مدينتهم وينشدون معتذرين للحسين عن عدم الذهاب إلى مرقده بقولهم بلهجتهم الشفاثية المعروفة:

بالصيف ما جيناش حارّه علينه
وبِشتيه ما جيناش بارده علينه
واَنته انچتلت واحْنَه ابتلينه

وقولهم: بشتيه أي: بالشتاء.

وقولهم: ما جيناش أي: ما جئناك حيث إنهم يقلبون ضمير الكاف في الخطاب إلى شين، وهي لهجة عربية قديمة تسمى (الكشكشة) جاء في (اللسان/ مادة: كشش) والكشكشة: لغة لربيعة، وفي الصحاح: لبني أسد يجعلون الشين مكان الكاف وذلك في المؤنث خاصة، فيقولون: عليش ومنش وبِش وينشدون:

فعيناشِ عيناها، وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منشِ رقيق

ومنهم من يزيد الشين بعد الكاف فيقول: عليكش وإليكش وبِكشِ ومنكش. والأبيات المارة الذكر هي للمجنون يصف حبيبته ليلى بالغزالة: فعيناك عيناها وجيدك جيدها إلخ . . انتهى.

أقول: ويبدو أن أهل شفاثة استخدموا الكشكشة حتى للمذكر أيضاً في خطابهم للحسين. وفي الواقع إن اللهجة الشفاثية يمكن اعتبارها أُحفورةً من أحافير اللهجات العربية القديمة وهي الآن في طريقها إلى الزوال بعد اندماجهم في المجتمع المدني. وأتمنّى أن ينبري أحد من مثقفي الناحية فيقيدها في كتاب قبل اندثارها.

الباب التاسع

استخدام دَمِ المتطبِّر في السِّحر

ويعتقد بعض الناس الخرافيين أنَّ لدماء المتطبرين خصوصية سحريّة، وغالبية هؤلاء من النساء، حيث يعتقدن أن دم المتطبر يمكن أن يهبَ المرأة المئناث وليداً ذكراً، إذا استحمت به فكانت أمثال هذه المرأة إذا ترادفت عليها ولادات إناثية، وعَزَّ عليها أن تلد ذكراً، فتذهب إلى موكب المتطبرين بعد الانتهاء من التطبير وتطلب من أحدهم قطعة من كفنه الملطخ بدمه وتذهب بها إلى البيت وتنقعها بطشت مملوء بالماء وتستحم بذلك الماء المشوب بالدم.

وقد روى لي صديقي الشفاثي عبد الحسن هليّل العامري، أن هذه الممارسة جَرَت في عائلته، حيث اعتاد والده (هليّل) أن يتطبر كل سنة في العاشر من المحرّم، فطلبت منه ابنة أخته كفنه، وكانت مئناثاً لا تنجب ذكوراً، فأخذته ونقعته بالماء واغتسلت به، فأنجبت وليداً ذكراً في العام التالي.

* * *

ويمكننا أن نفسر هذه العقيدة بما أطلق عليه (فريزر) اسم السحر التشاكلي الذي يؤمن به البدائيون ومفاده: أن الشبيه ينتج الشبيه، فالدم السائل من متطبر ذكر، إذا مَسَّ جسد المرأة يمكن أن ينتج في دم رحمها جنيناً ذكراً[1].

---

(1) فريزر، **الغصن الذهبي**، ج1 ص 108، ط. الهيئة المصرية للكتاب، 1971م.

وهذا الإيمان ليس مقتصراً على النساء العراقيات، فإن النساء المصريات يؤمن بذلك أيضاً ويبحثن عن الدماء الذكورية ليس بين المتطبرين إذ لا يوجد في مصر هذه الممارسة ولكنهن يبحثن عن دماء القتلى المقتولين حديثاً.

وعن هذا يحدثنا المؤرخ المصري المعروف (أحمد أمين) فيقول: كان في جوار بيتنا قريباً من (ميدان المنشية) مكان معدّ لغسيل القتلى والمشنوقين، وكانت تحضر إليه القتلى ملوثين بدمائهم، وكانت النساء يهجمن على هذا المغتسل إذا علمن بقتيل فيغمسن بعض الثياب في دمائهم، يدّعين أن ذلك يحبل من لم تحبل[1].

ويتبين لنا من قول المؤرخ (أن النساء يهجمن على القتيل إذا ورد على المغسل) يتبين لنا أنّهن يفضلن أن يكون الدم طازجاً جديداً وحارّاً كما الحال في دم المتطبر عندما تطلب العراقية كفنه، حيث يكون في تلك الحالة جديداً وطازجاً. إلّا أن المؤرخ المذكور لم يفصل لنا كيفية استخدامه ولعلّ المرأة تجعله في ماء وتغتسل به فتحبل كما تفعل أختها العراقية. وقد تكون تلك المرأة طالبة ولداً ذكراً.

إن أساس هذا المعتقد قديم يتمثل بإيمان الناس بأن في الدم قوّة شافية منشطة. وكان هذا المعتقد عالمياً ذات يوم، ثم ظهر كبقايا موروث دارس في بداية العصور الوسطى، وقد زعموا أن الإمبراطور

(1) أحمد أمين، **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، ص374، ط. الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1953م.

قسطنطين، أصيب بالجذام وأنه أراد أن يداوي نفسه بأن يستحم في الدماء الدافئة المسفوحة من أطفالٍ مذبوحين"[1].



من تخطيطات الفنان فيصل لعيبي صاحي

(1) **علم الفولكلور**، الكزانـدر هجرتـي كـراب، 81، ترجمـة رشـدي صالـح، وزارة الثقافـة المصريـة، مؤسسـة التأليـف والنشـر، دار الكاتـب العربـي، القاهـرة، 1967م.

نجاسة دم المتطبّرين

ولا شك أن دم المتطبرين يعتبر حسب الشريعة الإسلامية نجساً تبعاً لمبدأ نجاسة الدم أصلاً. لذلك كان المتطبرون يمنعون من ممارسة التطبير داخل الحرم الحسيني ويسمح لهم بالتطبير في الصحن الواسع الذي يحيط بالحرم لكي يصار إلى غسل الدماء بالماء وتطهير الأرض التي سالت عليها دماؤهم. ولكن بعض فرق المتطبرين المتنفذة كانت لا تلتزم بشروط المنع، فتدخل الحرم عنوة وتمارس التطبير فيه. وفي هذه الحالة كان المتطبرون عندما يشاهدون الضريح تنتابهم نشوة الوجد فيشتد ضربهم على الرؤوس فتتطاير الدماء منهم وتصيب شباك الضريح والجدران المرمرية فتلوثها فيصعب تقصيها وإزالتها وخاصة إذا يبست. لذلك اتخذ المتولون أمر نظافة الحرم تغطية الجدران بستائر النايلون، فإذا انتهى العزاء أزالوها وجمعوها وألقوها في سيارة النفايات ثم غسلوا أرض الحرم.

وفي مواكب التطبير التي كانت تقام في اسطنبول عام 1877م، ذكر السائح ماكس مللر أن مواكب التطبير كانت تقام في خانات اسطنبول على شكل جوقات متقابلة. وكان ثمة أشخاص يسيرون خلف كل

متطبر لتحاشي تطاير قطرات الدم على كل الجهات[1] ولم يذكر السائح الكيفية التي كان أولئك الأشخاص يمنعون بها تطاير الدماء، ولعلهم كانوا يحجبونها بقماش ساتر، كما يحدث في كربلاء اليوم حيث يقتحم المتطبرون داخل الحرم ويقومون بالتطبر هناك مما يضطر السدنة لتغطية الجدران والأرضية بستائر من النايلون حتى إذا انتهت مجزرة الرؤوس رفعت هذه الستائر وجمعت وألقيت في القمامة، وإذا عبر الرشاش منها إلى الجدران طهروها تطهير نجاسة.

---

(1) **تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي**، إبراهيم الحيدري، ص146، ط. الأولى 1999 م نشر دار الساقي: بيروت لبنان.

التطبير جاء من تركيا

وقد بحث أحد مؤرخي النجف وهو الأستاذ طالب علي الشرقي هذه الممارسة الدخيلة في كتابه[1] فقال:[2] أهمل الكتّاب والمؤرخون تثبيت تاريخ ممارسة عملية التطبير في العراق. وكل ما قيل لا يتعدّى التقدير. وهناك من يربط بين التطبير في العراق وبين العبادات الدموية القديمة. وهذا أمر يحتاج إلى دليل بعد افتقاره للسند التاريخي إضافة إلى أن الدينِ الإسلامي يخلو من البحث عن مثل هذه الظاهرة بل وينهى عن كلٍّ ما يؤذي الجسد. ويذهب إلى أبعد من ذلك فيسقط بعض الواجبات الدينية عند الخوف من حصول الأذى.

كل ما يعرف عن التطبير في النجف هو الشائع على ألسنة معمري البلدة. وهو أن الشيعة من (القفقاسيين) عندما يأتون إلى زيارة الأئمة في كربلاء والنجف كانوا يستخدمون ظهور الحيوانات في سفرهم، وأسلحتهم السيوف. وتستغرق مدة السير من ثلاثة إلى أربعة أشهر حتى يصلوا إلى العتبات المقدسة وكلهم لهفة لرؤية

(1) **النجف الأشرف، عاداتها وتقاليدها**، 225.

(2) اعتمد المؤرخ المذكور في كتابه بحث ظاهرة التطبير على تقرير مخطوط بعنوان (دراسة في تاريخ التطبير) إعداد الأستاذ عبد الحسين محمد الجبوري مدرس التاريخ في متوسطة الفرات في الكوفة، كتبه في يناير/ كانون الثاني، 1975م.

قبور الأئمة ونفوسهم مفعمة بالحبّ لآل البيت، فصادف أن دخلت إحدى قوافل الزائرين القفقاسيين إلى كربلاء يوم العاشر من المحرّم وكانت المدينة صورة صادقة للحزن. لقد سودت المساجد والجوامع وواجهات المحالّ والبكاء واللّطم على الأئمّة ومقتل الحسين يقرأ في الشوارع أو في الصحن الحسيني الشريف.

واتفق أن يكون أحد القفقاسيين جاهلاً بهذه الأمور فشرح له أحد العارفين باللغة التركية معركة الطف وأظهر له بشكل لا يطيقه قلب مُحبٍّ الصورة المؤلمة التي مَرّت على الحسين ومن معه، فأثّر ذلك في نفسه وأفقده صوابه فسلَّ سيفه وضرب رأسه ضربة منكرة مات على أثرها وتحوّلت مواكب العزاء إلى تشييع ذلك الرجل الزائر.

استحسن أحد رؤساء مواكب العزاء وكان تركياً هذه العملية فنظم في السنة التي تلت تلك الحادثة عزاءً مكوناً من مجموعة صغيرة من الأفراد يلبسون الأكفان ويحملون السيوف، ذهب بهم إلى المكان المعروف اليوم باسم (خيمگاه) وجاء بحلّاق فحلق رؤوسهم وجرح كلّ فرد منهم جرحاً بسيطاً في رأسه وخرجوا بهذه الهيئة متجهين إلى مرقد الحسين وهم يندبون (يا حسين) حتى وصلوا إلى الصحن الشريف وبعد عويل وبكاء تفرّقوا.

ثمّة رواية أخرى تفيد أن الشيعة من أتراك أذربيجان وتبريز وقفقاسية قدموا العراق لزيارة العتبات المقدسة وذلك في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. فدخل جماعة منهم في العاشر من محرّم الحرام إلى صحن الحسين عليه السلام واجتمعوا قرب الباب

المعروف اليوم بالزينبية ومعهم القامات وهو سلاحهم التقليدي والذي يلازمهم خلال سفرهم ثم أقاموا مجلساً للتعزية في المكان المذكور وأخذ مقرؤهم يشرح لهم واقعة الطف باللغة التركية بشكل أهاج مشاعرهم، فأخرجوا قاماتهم وأخذوا يضربون رؤوسهم دون أن يحلقوها وبشكل عنيف حول صخرة بارزة في المكان المذكور. وقد توفي اثنا عشر شخصاً من هؤلاء الأتراك بعد عملية التطبير المذكورة مباشرة حيث لم تسعفهم الجهات الصحية في حينه لأنها لم تتوقع إقدامهم على مثل هذا العمل ولم تتهيأ له.

ثم يواصل المؤرخ قوله:

(نستخلص من الروايتين أن التطبير لم يكن معروفاً قبل حادثة الزوار الأتراك وإنّما هو حدثٌ طارئ فرضته الظروف النفسية التي مَرَّ بها أولئك الزوار وأرى -والقول للشرقي- أن الرواية الأولى أقرب إلى القبول من الثانية مع وجود التشابه الكبير بينهما حيث تظهر العفوية في الأولى وشيء من التنظيم في الثانية ثم إن موت اثني عشر شخصاً في يوم واحد وبسبب واحد يندر أن يهمله التاريخ فلا يدوّن الحادثة أو يصف المشاعر على الأقل.

قلنا إن بعض رؤساء المواكب استحسن العملية فأخرج موكباً صغيراً للتطبير واقتفى أثره جماعة من الأتراك الموجودين في النجف فشكلوا عزاءً في النجف قبل ما يقرب من مئة وثلاثين سنة حسب ما رواه بعض معمري البلدة وكان العزاء الأول والوحيد وكان مقتصراً على الأتراك أنفسهم، فلم يسمحوا لأي شخص غير تركي بالاندماج معهم وكذلك لم يسمحوا لشبابهم بالاشتراك في العزاء في الغالب.

وكانوا يخرجون ليلة العاشر من المحرم وهم يلبسون الملابس القفقاسية وهي (كلاو) من الفرو على الرأس وعلى الصدر (دميري) يصل إلى حدّ الركبة ويكون أسود اللون وبنطلون يسمى (كمرچين) في الحزام (خيط) خرّاطة وفي الأرجل (پوتين) ويعلق في الحزام مسدس يقال له (بشتو) وكذلك (القامة) أو (القليچ) أو (الچنتيانة) أو (اليطغان) أو (السيف) وهذه كلها آلات جارحة تختلف فيما بينها بالشكل والحجم)[1].

ويحمل بعضهم الشموع للإنارة لأن الموكب يسير ليلاً.

إن سير الموكب على هذه الصورة وقبل ضرب الرؤوس بتلك الآلات وإخراج الدم منها يسمونها (مشق) أي تدريب. وفي أثناء المشق يرددون بعض العبارات باللغة التركية وهي:

بگن كربوپلا ويران البدي = ومعناها: اليوم كربلاء أصبحت مبعثرة

حسين أز كانونا غلتان البدي = ومعناها: الحسين مضرج بدمه

نَجه گان آغلا ما سوق داش بگن = ومعناها: كيف لا يبكي الحجر دماً هذا اليوم

كسلب يتمشي ايكي باش بگن = ومعناها: في هذا اليوم ذبح 72 رأساً[2].

وفي صبيحة اليوم العاشر وقبل بزوغ قرص الشمس يذهبون إلى

---

(1) انظر: باب آلات التجريح، الباب الثامن والعشرون.

(2) أفادني بها الشيخ جمال إبراهيم سليماني من مواليد 1908م (طالب علي الشرقي).

بيت بحر العلوم وعليهم الأكفان ويجرحون رؤوسهم جروحاً بسيطة ويأتون علي شكل موكب منظم إلى الصحن الشريف ويعتبر كلٌّ من القهواتي (كُلْ محمد التركي) و (مَشتي باقر الزورخانچي) وشخص ثالث كان طباخاً من الأعضاء البارزين أو المؤسسين لعزاء الترك.

واستمر هذا العزاء الوحيد مدة طويلة ولكنه لم يبق وحيداً بل انبرى جماعة من النجفيين لتنظيم مواكب مشابهة فشكّل (خليل الأعمى الإِيراني الأصل) موكباً. وشكل (ميري بن أبي الدلال الإيراني) موكباً آخر. ونظم (ناجي خَشه من آل السيد سلمان) عزاءً وانشق السيد عباس على الأتراك وشكّل عزاءً مستقلًّا عرف باسمه. وكان (علي أكبر التركي) من الأشخاص البارزين في عزاء التطبير. يذكره كلّ من يتحدث عن التطبير في النجف لتحديه أوامر الأتراك واقتحامه (القُلّق)[1] في سراي الحكومة وإخراج السجناء وإشراكهم في التطبير حتى صار في كلِّ سنة يطلق سراح بعض المحكومين مدداً قصيرة تكريماً للعزاء.

ثم يقول الباحث الأستاذ طالب علي الشرقي[2]:

---

(1) القُلّق: بضم القاف وتشديد اللام وضمها، صارت في اللغة المحكية العراقية (القُلّغ) بإبدال القاف الأخيرة غيناً ومعناها: سجن، وعادة يقع السجن في سراي الحكومة، والكلمة تركية (kolluk) معناها مركز الشرطة وفيه السجن طبعاً. وكانت العامة تقول لمن ذهب به إلى السجن (ودُّوه للقلغ).
انظر، **معجم الألفاظ والمصطلحات الأجنبية في اللغة العامية العراقية**، د. مجيد محمد، ص246.

(2) **النجف الأشرف، عاداتها ونقاليدها**، طالب علي الشرقي، ص 229.

«وخلاصة ما تقدم، أن التطبير ليس عربياً ولا فارسياً ولا تركيّاً، إنما هو محض مصادفة كانت على يد تركيٍّ فتبناها الأتراك وشجعها الفرس وساهم فيها العرب».



احتفالات دينية (عاشوراء): لاطمو الصدور في فترة استراحة بين مجموعة من الجنود الأتراك وجماعة من رؤساء المواكب، والصورة مأخوذة في فصل الشتاء في بداية القرن العشرين خلال العهد العثماني

تقاليد الأتراك عند مقتل أبطالهم

أقول رداً على الزعم الآنف الذكر للأستاذ الشرقي: إنّ التطبير وما شابهه من وسائل التعذيب الجسدي لم يكن محض مصادفة من ذلك التركي وتبناها الأتراك بعده، وإنما كان طقساً نافذاً في تقاليد الأتراك القديمة عند مقتل بطل لهم أو موت عزيز لديهم وسأبيّن لك ذلك فيما يلي:

روى (فريزر) العالم الأنثروبولوجي المشهور أن من عادة الأتراك القدماء عند موت شخص عزيز عليهم، أن يقطعوا وجوههم بالسكين حزناً عليه حتى يسيل الدم والدموع معاً على وجناتهم[1].

أما في بلاد القفقاس -ومعظم سكانها من الأتراك- فذكر (فريزر) أن المحزونين يخدشون وجوههم ويشدّون شعرهم كما أنهم يحلقون وجوههم بما في ذلك حواجبهم. وفقاً لرواية من الروايات، ووفقاً لرواية أخرى أن النساء هنَّ اللائي يقمن وحدهن بإبداء شعائر الحزن هذه. فالأرملة تجتمع في حجرة زوجها مع قريباته، ويسلمن أنفسهن لأعمال العنف، فيشددن شعورهن ويلطمن وجوههن وصدورسن

(1) فريزر، **الفولكلور في العهد القديم**، 2/ 185، ترجمة: د. نبيلة إبراهيم ومراجعة د. حسن ظاظا، نشر الهيئة المصرية للكتاب 1974م.

ويعترضن على حادث الوفاة المؤسفة. أما الشعر الذي ينتزعنه من رؤوسهن في هذه المناسبة فيضعنه فيما بعد في لحد الميت.

ويجتمع الأقرباء في مثل هذه المناسبة عند قبيلة (أويستي) في القوقاز (القفقاس)[1]، فيعري الرجال رؤوسهم وأفخاذهم ويضربون أنفسهم بالسياط حتى يسيل الدم منها. أما النساء فيخدشن وجوههن

---

(1) القفقاس أو القوقاز (Caucase) منطقة في جنوب غربي الاتحاد السوفيتي (سابقاً) تشمل: القفقاس وأذربيجان وجورجيا وهي منطقة جبلية بين بحر قزوين والبحر الأسود وتمتد على طول 1200كم (**منجد الأعلام/** مادة: قفقاس). وقد تعرضت المنطقة لكثير من الغزوات والهجرات مما ترك أثراً في التكوين الجنسي لهم. وبالقوقاز الشمالية بلاد الجركس (**الموسوعة العربية الميسرة/** مادة: قوقاز) ولم يبق من قبائل الجركس التي كانت أكثر عدداً قبل الفتح الروسي لهذه البلاد إلا بقايا لا يعتد بها، إذ هاجر أغلبيتهم إلى تركيا خلال هذه الحروب عندما وضعت الحروب أوزارها. (**دائرة المعارف الإسلامية المترجمة/** مادة الجركس) وقال البدر العيني (ت 855هـ) في (**عقد الجُمان في تاريخ الزمان**) وهو في أربعة وعشرين مجلداً (ومن الترك الجراكسة) ثم عدد قبائلهم الأربع (المصدر السابق وانظر **دائرة المعارف**، بطرس البستاني، ج10 ص440) وجاء فيها: إنهم رعاة ومقاتلة على الغالب ولهم أسلحة مشهورة. وقال فيهم بعض واصفيهم: هم أعلى الناس هِمَّة وأشجعهم وأجملهم. وقال فيهم خلاف ذلك من عزاهم إلى سفك الدماء والوحشية. أقول: وعلى هذا ليس من البعيد أن يفعلوا بأنفسهم تلك الممارسات الوحشية عند مقتل البطل الحسين عندما يأتون إلى النجف أو كربلاء. وقد سمعت من معمري الكربلائيين أنهم كانوا يفعلون ذلك في يوم عاشوراء. لذلك يمكن أن يكونوا هم المؤسسين لشعائر التطبير.

ويعضضن أذرعهن ويشددن شعورهن ويضربن صدورهن ويصرخن صراخاً معولاً[1].

* * *

وفي السنة (110هـ) وقعت معركة بين الجيش الأموي والترك فقتل عظيم من عظمائهم فقطع جنوده آذانهم وأصبحوا منكسين رؤوسهم يبكون ودخل عليهم أمرٌ عظيم[2].

وفي سنة 121هـ أسر نصر بن سيّار[3] أمير خراسان (كورسول) أمير الترك فقتله، فحزن عليه الترك وجاؤوا بأجنبتهم فأحرقوها وقطعوا آذانهم وخدَّدوا وجوههم وطفقوا يبكون عليه[4].

ويبدو لنا من خلال هذه الأخبار أن الأتراك وأهل القفقاس وهم من رسٍّ واحد يتمايزون في التعبير عن الحزن عند موت عزيزهم أو بطلهم القومي كلٌّ حسب ما هو مأثور في تراثهم القبلي، وليس من

---

(1) **الفولكلور في العهد القديم**، المصدر السابق، ص 180.

(2) **تاريخ الطبري**، 7/ 62.

(3) نصر بن سيّار (46 ـ 131هـ = 666 ـ 748م) أمير من الدهاة الشجعان، كان شيخ مضر بخراسان ووالي بلخ ثم ولي إمرة خراسان سنة 120هـ، ولاه هشام بن عبد الملك، وغزا ما وراء النهر ففتح حصوناً وغنم مغانم كثيرة وأقام بمرو. وقويت الدعوة العباسية في زمنه فكتب إلى بني مروان بالشام يحذّرهم، فلم يأبهوا له فراح يعالج الأمر بنفسه فلم يتمكن من القضاء على الدعوة وأخذ يتنقل منتظراً النجدة فلم تصل إليه فمرض ومات بساوة كمداً (انظر، **أعلام الزركلي**، مادة نصر بن سيار).

(4) **تاريخ الطبري**، المصدر السابق، 180.

البعيد أن يكون التركي الذي قيل إنه ضرب رأسه بالسيف أو بالقامة في النجف أو كربلاء إنما كان يعبّر عن حزنه لمقتل الحسين حسب طريقة قبيلته التي تستخدم السيف أو القامة.

وأختم هذا الباب بذكر وسيلة رهيبة من وسائل التعبير عن الحزن لم تخطر ببال بشر فقد ذكر صاحب التاريخ الغيائي[1]: في السنة 869 بعث جهان شاه إلى ولده پيربوداق صاحب بغداد أن يعنى بزوجته، فاستاء من هذه الوصية. ولما تقدم جهان شاه لحصار بغداد، أمر پيربوداق بزوجته فخنقت، ولما قتل پيربوداق زوجته، قام كلُّ أمرائه والمقربين منه فقتل كلٌّ منهم نساءه تأسياً بسيدهم.

---

(1) **تاريخ الغيائي**، ص319 ـ 320.

الباب الثالث عشر

مشاهَدة عَينيَة في موكب تطبير نَجفي

المشاهدة هذه رواها لنا كما رآها الباحث (طالب الشرقي) ونظراً لكونها تكاد تتشابه مع طقوس التطبير الأخرى التي تقام في الولايات الشيعية والدساكر والقرى، فإننا سندرجها هنا للتفصيلات المهمة والدقيقة التي وردت فيها، فلم يغفل الباحث شاردة ولا واردة إلا سجّلها. استمع إليه يقول[1]:

في الأيام العشرة الأولى وفي الساعات الأولى من العصر، يزحف الناس رجالاً ونساءً وصغاراً وكباراً إلى الشوارع التي تمرُّ بها مواكب العزاء أو لرؤية المعالم البارزة في واجهات الجوامع والتكايا من صور وتماثيل وأنوار وأعلام وأشباه ذلك، وأغلبهم يرتدي الملابس السود، ويضع بعضهم فوق رأسه غطاءً لم يكن يضعه في الأيام الاعتيادية، ويلبس الدشداشة وهي ليست لباسه الرسمي أو التقليدي وينشر بعضهم على كتفيه (شالة)[2] خضراء أو صفراء ويعلق في حزامه سيفاً أو قامة أو خنجراً ويسيرون في ليلة العاشر إلى الصباح ويقال لذلك (حَجّة).

---

(1) طالب علي الشرقي، **النجف الأشرف، عادانها وتقاليدها**، ص 234.

(2) الشالة والشال: مطرف ينسج في كشمير بالهند. والكلمة فارسية وهو من فاخر القماش. والشالة الخضراء يضعها الرجل على كتفيه إذا كان سيداً. أما الصفراء فيضعها العامي. (الجبوري)

ويغير بعضهم شيئاً من زيه الاعتيادي إشعاراً بالحزن، فلابس العقال يضع عقاله جانباً ويكتفي بلبس (اليشماغ)[1]. وبعضهم يسير حافي القدمين زيادة في الأجر[2] ويسقي بعضهم الماء من صفيحة أو (قربة) يعلقها في كتفه ويساهم بعضهم في خدمة بعض أفراد المواكب حيث يحمل إبريقاً فيه شرابٌ حلو يسقي المتطبّرين أو يضع في أفواههم بعض الحلوى أو يساعد من يسقط نتيجة الإعياء والضعف. ولو أراد المرء أن يقارن الأيام السابقة واللاحقة بالعشرة الأولى من المحرم في النجف لوجد بوناً شاسعاً جداً من حيث مظهر البلدة وتحرّك سكانها والأنشطة الخاصة بالمناسبة.

أما منظمو مواكب التطبير فيبدأ عملهم الفعلي في اليوم الثالث من المحرم حيث يظهرون في الشوارع بهيئة (مشق)[3]. ويتألف عزاء المشق من مجموعة من الشباب والأطفال وبعض الكهول يحملون السيوف والقامات والخناجر والعصي والهراوات وينتظمون على شكل شريط طويل ماسكاً كل واحد منهم بحزام الآخر. ويتقدم المشق أكبر الموجودين سِنّاً أو رئيس التكية أو أحد السادة العلويين.

---

(1) وبعضهم يضع العقال في رقبته رمزاً إلى كونه أسيراً للحسين (الجبوري).

(2) أقول: ليس المراد بالتحفّي زيادة في الأجر وإنما هو تقليد قديم من تقاليد الحزن، كان المحزونون يسيرون خلف الجنازة حفاة. فذكر أنه لما توفيت (الخيزران) أم الرشيد، خرج الرشيد حافياً يحمل قائمة سريرها ويعدو في الطين حتى أوصلها إلى المقبرة فغسل رجليه ودخل قبرها (الطبري، 8/ 238).

(3) المشق معناه التدريب أو البروفة.

ويتقدم الموكب ضاربو الطبول والصنوج والبوقات ويجوب العزاء أطراف البلدة ماراً بالبيوت وقد يدخل إلى فناء الدار إن كانت له (عادة) عليه ويأخذ رئيس العزاء من تلك البيوت النذور والتبرعات. ويبدأ المشق بالدخول إلى الصحن الشريف من ليلة الثامن من المحرّم إلى يوم العاشر منه. وفي اليوم العاشر يتبدل الحال ويتغيّر الزيّ فتلبس الأكفان البيض وتحلق الرؤوس إما كُلّاً أو جزءاً وخاصة مقدم الرأس أو دائرة في القمة ويبدأ التطبير وإراقة الدماء.

ومما يلاحظ في المشق الكثرة وفقدان النظام وظهور بعض الشباب بمظاهر لا تليق بالمناسبة ويحمل بعضهم بدلاً من السيف والقامة (جِسر كاروك) أو (ميجنة) أو زجاجة مصباح (نيون) وأشباه ذلك مما يضفي على جو الموكب نوعاً من التصرّف البعيد عن القصد الشعائري الذي نظم الموكب من أجله.

ويحدث أن يتطبّر بعض المشاركين في المشق في اليومين السابقين ليوم التطبير. أما الطبول والصنوج التي تتقدم المشق فلا يسمح لها بالدخول إلى الصحن الحيدري إلا في صبيحة اليوم العاشر أمام موكب التطبير أما البوقات فلا تمنع.

يردد المشاركون في المشق كلمة (حيدر) ويرددها المتطبرون أيضاً. أما كلمة (شخصين) التي حرفت من كلمة (شاه حسين) الفارسية فقد اندثرت وبقيت كلمة (حسين) وحدها[1].

والتطبير يبدأ عند بزوغ اليوم العاشر من المحرم في اليوم

---

(1) انظر، الباب الرابع عشر.

المعروف باسم (يوم الطباگ). والمتطبرون لا يتقيد بعضهم بمكان الانطلاق فمنهم من يتطبر في بيت من بيوت النجف الكبيرة أو في الصحن الحيدري أو حسب رغبة الشخص نفسه.

وتتقدم الموكب الفرقة الموسيقية كاملة (الطبول والصنوج والأبواق) وتدخل الصحن -أمام العزاء- فرس تمثل فرس الحسين عليها قماش أبيض ملطخ بالدماء وقد غرست فيه مجموعة من النبال وأمام الموكب راية من القماش الأبيض وقد نثر عليها الدم أيضاً، وقد يستعاض عن الدم بالأصباغ.

ويشترك في التطبير الشيوخ والشباب والأطفال بدوافع كثيرة يغلب عليها جميعاً في الظاهر دافع التقرب إلى الحسين والرسول بنيل شفاعتهما.

وتهتم السلطات الصحية في ذلك اليوم فتهيِّئ سيارات الإسعاف لنقل المغمى عليهم إلى المستشفى ويضمد الباقون داخل الصحن. وتهيأ حمامات المدينة العامة لاستقبال المتطبرين في ذلك اليوم[1].

---

(1) طالب علي الشرقي، المصدر السابق، ص 225 وما بعدها.

الباب الرابع عشر

(الشَّخْصَين)

هكذا كان يطلق على موكب التطبير سواءً في النجف كما أشار إليه الباحث (الشرقي)[1] أو في كربلاء كما سمعته بنفسي في الأحاديث المحكية الكربلائية في أربعينيات القرن الماضي، يتحدث به بعضهم فيقولون مثلاً: نزل عزه الشخصين يقصدون عزاء التطبير.

إن كلمة (الشخصين) محرّفة من (شاه حسين) إذ كان المتطبرون الأتراك عندما ينزلون للتطبير وبيدهم القامات والسيوف، كانت فرق الأبواق التي ترافق عادة الموكب تبوّق بتقطيعة نغميّة على شكل (طوط... طوط) فيجيبها المتطبرون الأتراك بصوت واحد (شاه خسين) بإبدال الحاء خاءً لأنهم لا يستطيعون تلفظ حرف الحاء، ثم ضغطت اللفظة فصارت (شَخسين) ثم عُرِّبت بإبدال السين صاداً فصارت (شخصين).

ثم لما صار التطبير عربياً ماتت تلك الكلمة وراح المتطبرون يردّدون (حُسَين) بمدّ الياء أو يقولون (حيدَر).

---

(1) راجع الباب السابق. أقول: وهو اسم كان شائعاً في كربلاء في أربعينيات القرن الماضي ولم يتحدث به اليوم أحد.

الباب الخامس عشر

وصف مواكب التطبير في الكاظمية

والوصف هذا وصف عياني أيضاً بمشاهدة السيد إبراهيم الحيدري قال:

في صبيحة يوم عاشوراء تبدأ مواكب المطبّرين بالقامات بأداء طقوسهم قبيل شروق الشمس في صحن الكاظمية.

والتطبير هو جرح الرؤوس الحليقة بالقامات بضربات ليست عميقة. وهي طقوس شعبية تعبّر -حسب رأيهم- عن المشاركة في إيذاء النفس والجسد مواساة للإمام الحسين الذي قتل مثخناً بالجراح في معركة الطف بكربلاء. أما القامات، مفردها قامة، فهي سيوف مستقيمة حادة الجانبين تشبه السيوف الرومانية القديمة وأفضل أنواعها، الروسية والتركية.

كانت في الكاظمية في شهر محرّم من عام 1968م ستة مواكب للتطبير تمثل أحياء الكاظمية ومحلاتها. أما موكب الخالصية فكان المشاركون فيه يمتنعون عن القيام بالتطبير وضرب الزناجيل ولا يقومون بتمثيل واقعة الطف (التشابيه) لأنهم يعتقدون بأن هذه الطقوس ما هي إلا (بِدعٌ) غريبة عن الإسلام ولا تجوز ممارستها.

يتشكل كل موكب من مواكب التطبير من مجموعة أو عدة

مجموعات من المتطبرين الذين يتراوح عددهم بين مئة ومئتي شخص. ويجد المرء بينهم أطفالاً صغاراً يرتدون أكفاناً بيضاء وهم برفقة آبائهم أو أحد إخوانهم الكبار وهم حليقو الرؤوس وقد مسحت رؤوسهم بالدماء أو جرحت بجروح خفيفة. وتعود هذه العادة إلى أن الأمهات العاقرات اللواتي لا ينجبن أطفالاً أو اللواتي لا ينجبن ذكوراً على وجه الخصوص، ينذرن عند الإمام الحسين ويطلبن منه أن يرزقهن الله أطفالاً ذكوراً، فإذا استجاب الله لدعائهن فإنهن يقمن بإيفاء نذورهن وذلك بإرسال أولادهن الذكور للمشاركة في مواكب التطبير، ولو بشكل رمزي. وكما هو معروف فإن يوم عاشوراء في أغلب مدن وقرى العراق هو يوم حزن وأسى، تفيض فيه العيون بالدموع وتكتسي فيه الأشياء بالحزن والسواد، فالألبسة سوداء، والوجوه كالحة ومترَّبة بتربة كربلاء، والجدران سوداء والأعلام سوداء وكل شيء ملبّد بالسواد، ما عدا ضاربي القامات الذين يرتدون أكفاناً بيضاء ملطخة بالدماء، وقد نقش عليها (نحن فداء للحسين) ويحملون بيدهم اليمنى قامات أو سيوفاً وأحياناً خناجر كبيرة يضربون بها على رؤوسهم الحليقة بحيث يحدثون فيها جروحاً قد تكون عميقة وخطيرة أحياناً، وهم يسيرون في شكل بيضوي منظم ويخترقون الشارع الرئيس في الكاظمية المؤدي إلى الصحن الكاظمي على إيقاع موسيقى لحن جنائزي أشبه بالموسيقى العسكرية الحزينة وكذلك إنشاد النائح وهو يردد مرثية حزينة. وتتكون الفرقة الموسيقية التي تتصدّر الموكب من آلات هوائية تقليدية كالطبول والدمامات والأبواق الطويلة والصنجات.

وفي مقدمة الموكب يسير المنظمون وهم مساعدو رئيس الموكب الذين يوجهون المسيرة ويساعدون المطبّرين بالقامات في ترديد الردّات التي ينشدها النائح. وبين حين وآخر يوزعون قطع حلوى صغيرة يضعونها في فم المطبّرين لتمنحهم بعض القوة، كما يقومون بمسح الدماء التي تسيل على جباههم وعيونهم.

ويتقدم الموكب حاملو الأعلام وهي رايات بيضاء مخضبة بالدماء، وقد رسم عليها سيفان متقاطعان وبينهما رأس مقطوع مخضب بالدماء يرمز إلى رأس الحسين. وفي أعلى الراية نقش اسم الموكب. وتحمل بعض مواكب التطبير تابوتاً يرمز إلى نعش الإمام الحسين وهو مغطّى بحُلَّةٍ مخملية خضراء مزخرفة بآيات قرآنية وكتابات عربية وأبيات في رثاء الإمام الحسين.

ويتبع التابوت عدد من الخيول العربية المطهمة تتقدمها فرس الحسين البيضاء قد لطخ سرجها ولجامها بالدماء.

وعندما يصل الموكب إلى الصحن الكاظمي يتصاعد حماس المطبرين وهم يرددون (حيدر ... حيدر ...) وهم يقصدون بذلك الإمام علي.

وعلى إيقاع الطبول والأبواق وهتافات الجمهور المحتشد تشتد الضربات على الرؤوس بوتائر سريعة حتى تصل إلى ذروتها حين يأخذ البعض منهم بالضرب على رأسه بقوة بحيث تحدث شرخاً في الرأس ينزف دماً غزيراً، وقد يسقط البعض منهم على الأرض مغشياً عليه. وقد حدث أن توفي البعض منهم على أثر تلك الضربات

القاسية على الرأس. ومن أجل تحاشي حدوث ضربات حادة ونازفة وجروح عميقة في الرأس يقوم بعض المساعدين بمرافقة المطبّرين والسير بمحاذاتهم ووضع عصا غليظة أو خشبة طويلة بشكل أفقي أمام جباههم لاتقاء أية ضربة قوية على الرأس قد تؤدي بصاحبها إلى الموت.

وحين ينظر المرء إلى هؤلاء المطبّرين، يرى أمامه منظراً مرعباً ورهيباً كتلاً آدمية من الدماء ذات رؤوس مدماة تظهر وكأنها مهشمة وتسيل منها دماء قانية تغطي جباههم ووجوههم وأكفانهم البيضاء، حيث تأخذ المرء هزة ألم عميقة لأن رهبة الدماء أكثر عمقاً وتأثيراً من رهبة الموت الطبيعي.

ومن المعتاد أن يقوم الحلاقون بحلاقة رؤوس المطبّرين قبل البدء بالمسيرة أو في الليلة التي سبقتها. وفي الصباح الباكر يحدثون جروحاً غير عميقة لتخرج الدماء منها بأقل خطورة. وحين يأخذ المطبرون بضرب رؤوسهم بالقامات يجري الدم سريعاً. غير أن البعض منهم يأخذه الحماس والهياج فيقوم بضرب رأسه ضربات قوية وسريعة فتنفجر الدماء بغزارة، في حين يضرب البعض الآخر منهم على رأسه بواسطة سطح القامة وليس جانبها وفي هذه الحالة تكون الضربات أقل خطورة.

بعد الانتهاء من التطبير يذهب المطبرون إلى الحمامات الشعبية للاستشفاء والاستحمام حيث تعالج جروحهم وتطبب من قبل حلاقين وبطرق شعبية تقليدية.

من وظائف كل موكب تحضير وإعداد القامات والأكفان والفرق الموسيقية واللوازم الأخرى مثلما يقوم بجمع التبرعات اللازمة للمسيرة ومكافآت الشاعر والرادود والخطيب والمصاريف الأخرى[1].

أقول: لقد ورد في تقرير السيد إبراهيم الحيدري السابق، ذكرٌ لموكب (الخالصية) وهو موكب عزاء يسير مع مواكب التطبير ولكنهم يمتنعون عن القيام بالتطبير وضرب الزناجيل ولا يقومون بتمثيل واقعة الطف (التشابيه) لأنهم يعتقدون بأن هذه الطقوس ما هي إلا بدعة عن الإسلام لا تجوز ممارستها.

ولتسليط الضوء حول (موكب الخالصية) نذكر أنهم ينتمون إلى آية الله الشيخ محمد مهدي الخالصي وهو (مجتهد آية) ولد عام 1888م في مدينة الكاظمية وتتلمذ على يد والده المرجع الديني الشيخ مهدي الخالصي والمراجع العظام في زمانه وحاز على درجة الاجتهاد في سنّ مبكرة. حارب الاحتلال الإنكليزي للعراق سنة 1914م وقاتلهم تحت إمرة والده. وذهبت عينه اليمنى في القتال. ولما فشلت الثورة (ثورة العشرين) نفاه الإنكليز إلى الحجاز ثم إلى إيران وبقي في المنفى 26 عاماً. وهناك أحدث إصلاحات كبيرة بين المسلمين وإيقاظهم وأصدر العديد من الصحف والمجلات باللغة الفارسية والعربية حيث كان يتقن الفارسية والتركية والفرنسية بالإضافة إلى لغته العربية. وكانت كل نشرياته تهدف إلى توحيد المسلمين بشعار لا شيعة ولا سنة.

---

(1) إبراهيم الحيدري، **تراجيديا كربلاء**، ص 114 وما بعدها.

وعندما عاد إلى العراق قام بعدة أمور مهمة ومثيرة منها الدعوة إلى وحدة الشعب ونبذ التفرقة الطائفية ثم أصدر فتوى بتحريم الشهادة الثالثة في الصلاة وهي (شهادة أشهد أن علياً وليُّ الله) ثم تنزيه الشعائر الحسينية من البدع كالتشابيه واللطم والتطبير. توفي ليلة الجمعة 21 ديسمبر/كانون أول سنة 1963م. اشترك في تشييعه جمع عظيم من السنة والشيعة ودفن في حجرته في الصحن الكاظمي الشريف[1].



موكب تطبير في سنة 1914

(1) للتوسع انظر، موسوعة ويكيبيديا الحرة.

مواكب التطبير في بيروت

وإلى جانب مجالس العزاء والندوات الفكرية والثقافية والسياسية التي تلقى فيها الخطب والقصائد والمراثي في بيروت، جرت في مدينة (النبطية) احتفالات ومراسيم وطقوس عديدة خلال الأيام العشرة الأولى من شهر محرّم وبخاصة يوم عاشوراء. وبالإضافة إلى مجلس العزاء الحسيني الذي يقام في النادي الحسيني في وسط مدينة النبطية يقام عزاء اللطم على الصدور ثم يتبعه عزاء ضرب السلاسل الحديدية على الظهور والتي تقام عادة بعد الظهر مباشرة ما عدا يوم عاشوراء.

أما في يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من محرّم فتبدأ الاحتفالات منذ الصباح الباكر في النادي الحسيني حيث يقام عزاء اللطم وضرب السلاسل أولاً ثم يتبعه عزاء التطبير، حيث تقوم مجموعة صغيرة من الشباب والصبيان، حاملين بأيديهم السيوف والخناجر وهم يضربون رؤوسهم ضربات خفيفة بحيث تحدث بعض الجروح والخدوش غير العميقة وهم يهتفون معاً (حيدر... حيدر) ويعنون بذلك الإمام علي[1].

* * *

(1) إبراهيم الحيدري، **تراجيديا كربلاء**، المصدر السابق، 167.

وتقام ثمّةَ تمثيلية على مسرح خشبيٍّ بسيط بدون ديكورات تصور مراحل مجيء الحسين إلى كربلاء مع صحبه وعائلته. وتتكون هذه التمثيلية من عدة مشاهد. وفي المشهد الأخير يبقى الحسين وحيداً وسط المسرح، يجلس على الأرض محنيّ الظهر وهو يشكو إلى الله ظلم بني أمية، ثم يستل سيفه من غمده وينزل من المسرح ويختفي وراءه.

وفي الدقيقة الأخيرة من نهاية هذا المشهد تصل مجموعة كبيرة من ضاربي السيوف والخناجر وتخترق المشاهدين المحتشدين أمام المسرح الخشبي في وسط الساحة الكبيرة أمام النادي الحسيني مئات من الرجال بلباس أبيض مثل أكفان الموتى وهم يحملون بأيديهم السيوف ويضربون بها على رؤوسهم الحليقة ويرددون (حيدر... حيدر) على إيقاع موسيقيّ رتيب. ويشتد الحماس بهم فيأخذون بالضرب على رؤوسهم ويسيل الدم على وجوههم وأكفانهم، ويسقط القليل منهم مغشياً على الأرض. وتلافياً لضربات موجعة أو قاتلة يرفع المرافقون لهم قضباناً خشبية ويضعونها أمام جباههم اتقاء لتلك الضربات القوية. وقد يصل بهم الأمر أحياناً أن لا يرى المرءُ منهم سوى دُمى حمراء تسيل منها الدماء[1].

---

(1) إبراهيم الحيدري، **تراجيديا كربلاء**، ص 168.

وصف موكب تطبير في إسطنبول

أورد هذا الوصف الرحالة (ماكس مللر Max Muller) في كتابه (رسائل من اسطنبول) وقد نقلناه من كتاب السيد إبراهيم الحيدري[1].

قال الرحالة المذكور عن بعض مراسيم عاشوراء في اسطنبول (عام 1877 م) التي عاشها عندما حضر في إحدى ليالي محرّم احتفالاً كبيراً في أحد خانات السوق الكبير في اسطنبول الذي امتلأ بالناس وبفوانيس منيرة من البترول والغاز:

بدأت الاحتفالات بعد أن امتلأ الخان بالناس، وكان عددهم حوالي الألف. ومع بدء الموسيقى دخلت مجموعة من الأطفال وهم بلباس أبيض، كان البعض منهم راكباً على الخيول والبعض الآخر راجلاً وهم ينشدون الأغاني ويولولون ويبكون، وقد أعقبتها مجموعة ثانية كل واحد منهم كان يحمل في يده سلسلة ثقيلة من الحديد (الزناجيل) ويضرب بها على صدره بصورة منتظمة. وكانت المجموعة كلها تهتف مرة واحدة وعلى إيقاع الموسيقى (يا حسين... يا حسين).

ثم دخلت الخان مجموعة ثالثة كان كل فرد منهم يضرب بيده

---

(1) إبراهيم الحيدري. **تراجيديا كربلاء** ، ص146.

اليمنى على الجهة اليسرى من الصدر، وباليد الأخرى على الجهة اليمنى من الصدر.

وفي داخل الخان تشكلت مجموعة أخرى على شكل صفّين طويلين من الأفراد الذين وقفوا وجهاً لوجه وكلٌّ منهم كان يمسك بحزام جاره باليد اليسرى، في حين كان كل واحد منهم يحمل في يده اليمنى سيفاً حاداً وبين هذين الصفين وقف (نَوح خان)[1] يقرأ عليهم قصة الحسين. وكان الموكب يدور في الخان ببطء شديد ثم يخرج من الخان، وبعد دورة بطيئة حول الخان يعود إلى مكانه. وعندما ذهبنا إلى خان آخر قدّموا لنا الشاي وبعض المشروبات الباردة. ولم تمض غير فترة قصيرة حتى أخذنا نسمع موسيقى من مكان قريب ثم أخذت الموسيقى ترتفع شيئاً فشيئاً. وفجأة دخل حصانان أبيضان وعلى ظهر كل منهما حمامة بيضاء ترمزان إلى الحسن والحسين، ثم أخذت الأصوات والهتافات تتعالى في فضاء الخان عالياً (حسن... حسين).

وباشتداد الهتافات تدخل المجموعة الأولى من المحتفلين التي تتكون من رجال يضرب كل واحد منهم على صدره العاري من الثياب مَرّة وعلى وجهه مرة أخرى. ثم تدخل المجموعة الثانية وراءها وكان كل واحد منهم يضرب على رأسه بالسلاسل الحديدية ويهتفون جميعاً بصوت واحد (يا حسين). وكان الصوت المدوي

(1) النّوح خان: الإمام الذي يقرأ المقتل ويجعل الناس ينوحون. ويقابله في الفارسية (الرّوزه خون) أي قارئ (الروضة) و (الروضة) كتاب فارسي في مقتل الحسين.

يظهر كمن يضرب بالمطارق على حجر الغرانيت حتى إن قسماً منهم كان يضرب بالسلاسل الحديد على وجهه فتسيل الدماء منه. أما آخرون وأخصّ مجموعة منهم فقد كانت أهل السيوف الذين أخذوا يضربون بها أجسادهم وقد وقف وراء كل واحد منهم شخص لتحاشي تطاير قطرات الدم على كل الجهات. وكان الرأس المدمّى بعد ضربه بالسيف لمرات عديدة يبدو للناظر وكأنه قُبَّعة حمراء.

وكان الموكب يدور في الخان على دقات الطبول وكأنه موكب عسكري، وقد سقط البعض منهم على الأرض. وقد تأكد لي بعد ذلك بأن واحداً منهم فقط وقع ميتاً على الأرض وكان ذلك أمام أعيننا.

بعد فترة قصيرة دخل عدد من أفراد الشرطة أخذوا بوضع عصي أمام رؤوس الضاربين بالسيوف من أجل أن لا تسحق رؤوسهم بالسيوف فيموتوا كالمجانين.

وفي الحقيقة فهؤلاء ليسوا بمجانين ولا سكارى بل هم بشر اعتياديون وأصحاء الأبدان وقد رأينا بينهم شيخاً كبير السنّ يصرخ ويبكي ويذرف الدموع وهو ينادي (حسين... حسين).

وفي الواقع فإن أغلب هؤلاء الناس البسطاء من الطبقات الدنيا الفقيرة جداً. وحينما يسأل المرء أحداً منهم: لماذا يبكي هؤلاء الناس بهذه المرارة فسوف يكون الجواب: على الحسين... على الحسين[1].

أقول: نلاحظ من خلال وصف (ماكس مللر) لموكب التطبير الاسطنبولي عام 1877م أن ثمة تقاليد متبعة فيه تتشابه مع تقاليد

(1) إبراهيم الحيدري، **تراجيديا كربلاء**، المصدر السابق، ص 146.

مواكب التطبير العراقية في سنة 2015م وهذه التقاليد تتمثل بترابط المتطبرين مع بعضهم عن طريق مسك كل واحد منهم بحزام جاره بإحدى يديه في حين تمسك اليد الأخرى بالسيف ثم صيحة ياحسين المتوافقة مع إيقاع العزف الموسيقي لفرقة العزف التي ترافق عزاء التطبير.

أما التقليد الآخر فهو وجود مجموعة من حاملي عصيّ غليظة مهمتهم مرافقة المتطبرين وحماية رؤوسهم من الضربات الشّديدة بوضع هذه العصيّ بين الرأس والسيف. وكان الجنود الأتراك هم الذين يتولون ذلك ربما كانوا يفعلونه بأمر من الحكومة التركية وكل ذلك يدل على أن التطبير تركي الأصل.



لوحة لموكب زنجيل في تركيا

الباب الثامن عشر

طريقة التطبير في أورمية

إن هذه الطريقة معروفة لدى الأتراك الساكنين في مدينة (أورمية) القريبة من تبريز في إيران، وهي منطقة جُلُّ سكانها من الرسّ التركي. وقد رحل إلى المدينة المذكورة سائحان إنكليزيان أوائل عشرينيات القرن الماضي هما (دبليو. أي. ويگرام) و(إدگار أي. ويگرام) فكتبا عن ظاهرة ضرب الرؤوس بالسيوف القصيرة في ذكرى مقتل الحسين فقالا ما نصّه:

(والمذهب الجعفري هو مذهب الأغلبية الساحقة لمسلمي (أورمية) والسهل الذي يكتنفها، مثلهم في هذا مثل سائر الإيرانيين، لذلك كانت الاحتفالات خلال شهر محرم تمتاز بالمهابة والرهبة، إذ تخرج صفوف طويلة من المعزّين، متظاهرة في الشوارع وتلطم الصدور وتندب الشهيدين الحسن والحسين. في حين تعنّ لك بين الفينة والفينة جماعات صغيرة من الغلاة في أردية بيضاء تندفع وهي تضرب جباهها بسيوف ثقيلة (وهي سيوف قصيرة عريضة شبيهة بسيوف الرومان الغابرين) حتى ينبجس الدمُ منها ويسيل على وجوههم. وكانت رؤوسهم حليقة تماماً لذلك فإن أية ضربة خفيفة تخرج دماً وهذا ما يقطع بأن المراسيم ليست مجرد تظاهرة بل أكثر من ذلك. والواقع أنه لا تمثل أي زيف في القضية، فنادراً ما يمرّ محرّم

دون أن يموت أحد من هؤلاء من الجراح التي أحدثها في رأسه. كانت الحالة هكذا قبل الاحتلال الروسي على الأقل.

وأورمية الآن هي روسية بحكم الأمر الواقع. وكل جعفري مخلص يشعر الآن بأن شهر محرّم قد فقد روحه وميزاته إن لم يكن قد تجرد من مظاهره الفخمة بوجود حراب الكفار وهي تقوم على حراسة الشوارع وحفظها هادئة نظيفة[1].

وأورمية هي (أرومية) وبالأذرية (أورومو) وبالسريانية (Urmia) وتسمى أيضاً (رضائية) كما كان اسمها سابقاً حتى عام 1979م. وهي إحدى الحواضر الإيرانية الواقعة في شمال غرب إيران، إذ هي مركز محافظة أذربيجان الغربية. ومقاطعة أورمية (بالفارسية شهرستان أرومية) وهي عاشر أكبر مدينة في إيران تقع على ارتفاع (1332) متراً عن مستوى سطح البحر في الغرب من بحيرة أرومية وجوها حار صيفاً وبارد شتاءً.

ويذهب المؤرخون إلى القول بأنها محل ميلاد (زرادشت) مؤسس الديانة الزرادشتية. وشهدت المدينة فترات احتلال كالاحتلال العثماني تارة والاحتلال الروسي تارةً أخرى. وقد اكتسبت أهمية لموقعها الاستراتيجي بين القوقاز وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى (تركيا الحالية) مما جعلها مركزاً تجارياً.

---

(1) **مهد البشرية . الحياة في شرق كردستان**، ص191، (دبليو . أي . ويگرام) و(إدگار . أي . ويگرام)، ترجمة جرجيس فتح الله المحامي، ط. الأولى، 1971م.

يتكون اسمها (أورمية) من مقطعين: الأول هو (أور) وتعني (مدينة في اللغة الآشورية) وكذلك في السومرية، وأخذ اللفظة بنو إسرائيل فسموا مدينتهم المقدسة (أورشليم) أي مدينة السلام. أما المقطع الآخر وهو (ميّة) فيعني الماء. ويصبح معنى (أورمية) مدينة الماء.

وقد أحبها شاه إيران السابق (رضا بهلوي) وبنى فيها القصور ومكانات الاستراحة فنسبت إليه وسميت (رضائية) ثم أعيدت التسمية القديمة بعد الثورة الإسلامية الإيرانية.

وقد شاع للمدينة بالإضافة إلى اسمها الحالي (أرومية) أسماء أخرى مثل أورمية وأزْمية وأرم. ويشيع بين الآذريين في إيران تسمية أرومية بـ(أورومو Urumu)[1].

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية المترجمة، 1/ 671.

الباب التاسع عشر

توافق مغزى التطبير وتجريح الأجساد في التثقيف الشيعي والمسيحي

يعتبر التطبير وما يرافقه من وسائل تجريح أخرى كلطم الصدور وضرب الظهور بالسلاسل (الزناجيل) الحديدية المطرّفة أحياناً كثيرة بالسكاكين الصغيرة الحادة لتفجير فيض الدماء منها، يعتبر كل ذلك بمثابة تكفير من جانب الأحفاد عن ذنب ارتكبه الأجداد هو تخلفهم عن نصرة الحسين يوم مجيئه إلى كربلاء ثائراً على يزيد الظالم المستبد وأدى تخلفهم إلى قتله في ذلك اليوم المشؤوم تلك القتلة الفظيعة مع صحبه وبعض أهل بيته.

ومثل هذا التكفير نجده في ممارسات دينية أقدم هي الديانة المسيحية حيث قامت زمرة منهم بتعذيب أجسادهم يوم ذكرى موت السيد المسيح على الصليب فأخذوا يمارسون تجريحات على أجسادهم تفوق في الإيلام تجريحات المتطبرين الشيعة، فيعمد أولئك البعض إلى ضرب أجسادهم بالسياط وتجريحها بشظايا الزجاج المغروسة في لوحة خشبية ذات مقبض ويقومون بدلك أفخاذهم بها أو صدورهم أو أذرعتهم. وبعضهم يستعيض عنها بفرشاة المسامير الحديدية المعروفة في صقل صفائح الحديد الصدئ، على اعتبار أن

آباءهم السالفين أسلموا السيد المسيح لأعدائه فصلبوه ولم يقوموا بنصرته.

فتراهم يتجمعون على شكل جوقات كجوقات المتطبرين الشيعة ويسيرون في الشوارع. وعندما يمرُّ هذا الحشد المدمّى بمجموعة من النساء يستقبلنهم بالبكاء والعويل ويرحن يستنشفن دماءهم بالقطن والخرق ليستشفين بها أطفالهن المرضى.

وقد أُسست هذه الزمرة في إيطاليا سنة 1720م فكان أفرادها يذهبون على شكل مواكب باتجاه إحدى الكنائس التي تسد بابها استعداداً لهذه التمثيلية فيأخذون بنطح الباب برؤوسهم بشدة حتى تنفتح لهم ورؤوسهم تدمى وتسيل الدماء على وجوههم فتصبح صورتهم المدماة شبيهة بصورة الشيعي المدمى بالتطبير.

ويجري في هذا اليوم الذي يطلق عليه اسم (أحد الآلام Passion Sunday)[1] ضرب الظهور بالسياط وتجريح الأفخاذ بالفرش التي ثبتت فيها شظايا الزجاج المدببة ثم يميلون بها على صدورهم فتسيل منها الدماء، فترى الناس يتوجهون نحوهم ويأخذون شيئاً من دمائهم ويلطخون بها وجوههم وأجسادهم كدليل على المشاركة الوجدانية.

ويطلق على هذه الممارسات اسم (مسرحيات العذاب Passion Plays) وتستمر يوماً كاملاً. وقد شاعت هذه

---

(1) Passion Sunday : أحد الآلام، الأحد الخامس من الصوم الكبير في النصرانية و Passion Play : مسرحية الآلام : تمثيلية تصور آلام المسيح (قاموس المورد) وانظر: New Webester's Dict. Passionist Item.

التمثيليات في أوروبا في العصور الوسطى، وهي تصور المرحلة الأخيرة من حياة السيد المسيح الذي عانى على الصليب العذاب وتجريح الجسد، لذا توجب على عضو هذه الجماعة ويطلق عليه اسم (Passionist) أن يشارك السيد المسيح في عذابه فيقوم بتعذيب نفسه.

وتنسب هذه التمثيليات إلى تقليد مسرحي ديني يرجع إلى زمن أبعد جداً في تاريخ الإنسانية قبل حياة السيد المسيح نفسه، إذ كان قدماء المصريين في الألف الثاني (ق.م) يمثلون آلام الإله (أوزريس) بممارسة هذه الشعائر[1].

---

(1) **A Dictionary of Literary Terms** . By Wahba P.333

مصدر الطقوس الحسينية
في رأي الدكتور علي شريعتي

إلّا أن المفكر الإيراني الدكتور علي شريعتي يرى أن هذه الطقوس جلبها الإيرانيون الصفويون[1] من الطقوس المسيحية ولم يعهد لها سابقة في الفولكلور الإيراني الشعبي ولا في الشعائر الدينية الإسلامية. فقد ذهب (وزير الشعائر الحسينية)[2] وهو منصب استحدث في زمن الصفويين، ذهب إلى أوروبا الشرقية وكانت تربطها بالدولة الصفوية روابط حميمة يكتنفها الغموض، وأجرى هناك تحقيقات ودراسات واسعة حول المراسيم الدينية والطقوس المذهبية في المحافل الاجتماعية المسيحية وأساليب ذكرى شهداء المسيحية والوسائل المتبعة في ذلك حتى أنماط الديكورات التي كانت تتزيّن بها الكنائس في تلك المناسبات واقتبس تلك المراسيم والطقوس، وجاء بها إلى إيران حيث استعان ببعض الملالي عليها لكي تصبح صالحة لاستخدامها في المناسبات الشيعية في إيران،

---

(1) نسبة إلى الشاه إسماعيل الصفوي (1501 ـ 1736م) الذي فرض مذهب التشيع على أهل إيران.

(2) أرجو أن أعلم القارئ أن بعض النواب الشيعة في المجلس النيابي العراقي الحالي اقترحوا تأسيس وزارة جديدة ضمن حشد الوزارات باسم (وزارة الشعائر الحسينية) ولكن لم يتمّ الاتفاق على الطلب.

مما أدى بالتالي إلى ظهور موجة جديدية من الطقوس والمراسيم المذهبية. ومن بين تلك المراسيم النعش الرمزي والضرب بالزنجيل (السلاسل) والأقفال والتطبير (ضرب الرؤوس بالسيوف) واستخدام الآلات الموسيقية، وكان ذلك في غضون القرن السادس عشر أو السابع عشر[1].

أقول: وقد انتقلت هذه الطقوس بحذافيرها إلى المدن الشيعية العراقية وزادوا عليها أموراً مما كان يجري في الهند وتركيا وغيرهما من الأصقاع حتى صارت كربلاء والنجف كبؤرتين لامتين التمت فيهما تقاليد الشعوب الخاصة بالتفجع على الموتى.

---

(1) دكتور علي شريعتي، **التشيع العلوي والتشيع الصفوي**، ص 207 وما بعدها.

التماثل الشعائري
بين مقتل سياوش ومقتل الحسين

يرى الباحث الإيراني (أحمد لاشين) أن حضارة العراق من الأصول التأسيسية للحضارة الإيرانية بوصفهما حضارتين متجاورتين، بالإضافة إلى وجود أضرحة أبطال كربلاء بأرض العراق مما أدى إلى مزيد من التوحد الثقافي.

ثم يقول: وفي إيران تتم الطقوس الحسينية نفسها، ولكن فيما يخصُّ بطل فارس القديم وهو (سياوش بن كيكاوش) والذي قتل غدراً على يد (كرسيوز) أخي (إفراسياب) وتمَّ فصل جسده عن رأسه وذلك عندما ذهب إلى (توران) ليحتمي بإفراسياب من ظلم أبيه الذي اتهمه في زوجته، فأقام لديه مدةً ثم قتلِ غدراً، وعندما وصل إلى أبيه حزن عليه وأقام له عزاءً استمرَّ أسبوعاً، ارتدى خلاله الناس السواد بِمَنْ فيهم الأبطال أمثال (رستم) وغيره.

وكذلك وردت حكايته في (الأفستا) تحت اسم (سياوش) وفي آسيا الوسطى يتم الاحتفال بعزاء سياوش كذلك. وكل هذه العزاءات تقام في يوم النوروز أو بداية الربيع فهو نفسه بداية السنة الإيرانية مما يؤكد أن دلالة عزاء (سياوش) لا يختلف عن عزاء تموز في (ما بين النهرين) أو في الديانات الآسيوية، فهو سياوش الإِله البطل.

وهكذا نلاحظ أن آلية الاحتفال بعودة الإله المقتول لا تختلف كثيراً عن آلية الاحتفال بالحسين، وإن كانت الرغبة في العودة غير واضحة بشكل كلّي. إلا أن هناك علاقة وثيقة ما بين الطقوس الدينية القديمة في إيران من جهة وبين العادات واستمرارها في النفسية الشيعية من جهة أخرى. فلقد أثَّرت الملاحم والأساطير القومية على العزاء الحسيني. ومن هنا يتكوّن ذلك التشابه ما بين مأساة الحسين في كربلاء ومأساة سياوش في إيران القديمة اعتماداً على أساس اجتماعي ونفسيّ واحد تقريباً، كما أن (يان زيشان) قد اعتبر أن قصة سياوش هي النموذج التأسيسي لتضحية أزمة الحسين[1].

أقول: وقد تعرض سياوش بن كيكاوس في شبابه إلى محنة مع زوجة أبيه (سودابة) تكاد تشبه محنة النبيّ يوسف الصديق مع امرأة العزيز[2] فتذكر الشاهنامه أن كيكاوس (كيكاووس) سلَّم سياوش ابنه إلى رستم بن زال ليربيه، فعلمه الرماية والصيد وقيادة العساكر حتى بلغ أشده. فلما رجع إلى إيران، رأت زوجة أبيه (سودابة) حسنه وجماله فعشقته وأرسلت إليه تلتمس منه الدخول إلى دار أبيه والحضور لزيارة ذوات قرابته. فلما ذهب سياوش إلى دار النساء باحتيال سودابة تزينت وجلست على الكرسي ودعت سياوش إلى نفسها ولكن سياوش أبى وغضب. فشقَّت ثيابها وخمشت وجهها وصاحت. وسمعها الملك في مكانه. وقالت سودابة عند الملك إن سياوش قد راودها فاتهمته لدى الشاه كيكاووس فأمر بجمع الحطب

(1) أحمد لاشين، **كربلاء بين الأسطورة والتاريخ**، ص32 وما بعدها.

(2) انظر: سورة يوسف، الآيات: 25_29

لتحريق سياوش وكان يعتقد أن النار لا تصب المطهرين بأذى، فركض سياوش فرسه فدخل في النار حتى قطعها وخرج منها سالماً لم يصبه شيء فاعتذر كيكاووس إليه وأمر بصلب سودابة ولكن سياوش طلب من أبيه أن يعفو عنها فقبل وردها إلى حجابها.

ولهذه الصفات وغيرها جعلته الافستا في عداد الصديقين (تقدّس روح الملك العزيز سياوَش)[1].



سياوش على صهوة جواده عابراً النار

(1) للتفصيل راجع: **موسوعة ويكيبيديا الحرة**، مادة: سياوش.

الجذور التأسيسيّة لطقوس التفجّع الحسينية

لقد لاحظ دارسو الأساطير وعلم الفولكلور المقارن، ومنهم (إيردمنس)[1] أن الجذور التأسيسية لطقوس الأحزان والتفجع على الحسين، التي تقوم على إدماء الرؤوس وتجريح الأجساد وتشويهها بالسلاسل الحديدية والسكاكين، إنما يعود إلى ممارسات مشابهة ظهرت في ديانات شعوب قديمة استقرت في منطقة الشرق الأوسط، حيث كانوا يعتقدون بإِله يموت ثم يعود ثانية إلى الحياة، حسب دورة الزمن الزراعية، فإذا انتهى الصيف وأخذت النباتات تجف، وحل الشتاء الكئيب ببرده القارس وانتهت دورة النباتات الفصلية، ظنّوا أن إلههم قد مات، ورحل إلى باطن الأرض حيث عالم الأموات الرهيب ولا يمكن استعادته إلا بالبكاء والنحيب والندب وتجريح الأجساد وضرب جدران معبده بالرؤوس حتى تدمى أو نطح جدار قبره نطحاً حتى يشجّ الرأس ويسيل الدم منه فيغمر سائر الجسد وما إلى ذلك فيعود الإله إلى الحياة مرَّةً أخرى وبعودته يحل الربيع فينبت الزرع وتورق الأشجار وتتحفّز لمنح الثمار وتتوالد الماشية وتدر اللبن فيرتوي الناس.

وأقدم شعب آمن بهذه الأساطير شعب سومر في جنوب العراق

---

(1) انظر: **تراجيديا كربلاء**، المصدر السابق، ص 322.

قبل أكثر من (3500) سنة ق.م. وقد أطلق شعب سومر على إلههم هذا اسم (دُموزي) وعلى زوجته اسم (إينانا) وهي إلهة خصب مثله. ثم آمن به البابليون الأكديون وأطلقوا عليه اسم (تموز) وعلى زوجته اسم (عشتار)[1].

* * *

كما عبد المصريون الإله نفسه باسم (أوزيريس)، ففي الشهر الرابع من كل عام (يونيو/ حزيران ، يوليو/ تموز) تيبس الخضر بحرِّ الشمس، فيبدأ الاحتفال بموت (أوزيريس) بالنحيب وسكب الخمرة مع سائر طقوس الحزن المشابهة توسلاً لعودته.

ويصف كاتب مسيحي كيف ينوح المصريون ذوو الرؤوس الحليقة على قبر الوثن أوزيريس ويضربون صدورهم ويجلدون أكتافهم ويفتحون جروحهم القديمة أياماً عديدة، يعلنون بعدها أنهم عثروا على بقايا الإله حيث يفرحون بها فرحاً كبيراً.

ويصف الكثير من الكتّاب القدامى صيحات الفرح التي يطلقونها تحيةً للجثة. ويمكن أن تختلف الطقوس من مكان إلى آخر ولكن يبقى تمثيل العثور على الجثة وعودتها إلى الحياة حدثاً عظيماً في الاحتفالات السنوية لدى المصريين[2].

وقد انتقلت تراجيديا (تموز) وتقاليد التفجع عليه إلى مذهب

---

(1) **أدونيس أو تموز**، جيمس فريزر، ص15 وما بعدها، ترجمة : جبرا إبراهيم جبرا، ط. الثانية 1979م.

(2) **الغصن الذهبي**، جيمس فريزر، ص448، ترجمة نايف الخوص، نشر دار الفرقد، ط. الأولى 2014م.

(الحرّانية) صابئة حَرّان. ففي شهر (يوليو/تموز) في النصف منه في (عيد البوقات)، يعني النساء المبكيات يعمل لـ(تاوز) الإله (أي تموز) عيد، تبكي النساء فيه عليه، كيف قتله رَبُّهُ وطحن عظامه في الرحى، ثم ذرّاها في الريح، ولا تأكل النساء شيئاً مطحوناً في رحى، بل يأكلن حنطة مبلولة وحمّصاً وتمراً وزبيباً وما أشبه ذلك[1]. ويستدل فريزر -الذي اطلع على هذه الأسطورة من الفهرست لابن النديم- أن تموز يمثل حياة النبات ورمزه هو القمح.

* * *

ثم انتقلت عبادة تموز إلى بني إسرائيل، وأخلصوا في عبادته رغم نواهي أنبيائهم، فكانوا يجرون البكاء والتفجع عليه في معابده الخاصة به مثلما كان البابليون يفعلون[2].

* * *

وفي عبادة (أدونيس) إله الخصب السوري، يعتقد أهل (جبيل) في سورية، أن موت الإله قد جرى في بلدهم حيث قتله خنزير بري أثناء رحلة صيد وأساح دمه على الأرض، فأخذوا يحتفلون بذكرى هذا الحادث المفجع كل عام، فتراهم يضربون أجسادهم ويتوجعون مُحيين تلك الطقوس في جوٍّ من الحزن يعمّ كل منطقتهم. وحين يكفّون عن الضرب والبكاء يقدمون الأضاحي مثلما تقدم للميت وفي اليوم الثاني يحلقون رؤوسهم[3].

---

(1) **الفهرست**، ابن النديم، ص 29، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(2) **المحيط الجامع**، 384.

(3) **من أعمال لوقيانوس السميساطي**، ص36، ترجمة سعد صائب وسمير عرنوق، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، 1979م.

ويجري تجريح الأجساد كذلك في عبادة (أترجيس) وأترجيس هذه إحدى إلهات الخصب، كان يعبدها السوريون والفينيقيون في (قرنيم) أو (قرنايم) في جلعاد وهي (عشتروت قرنيم) المذكورة في العهد القديم[1] ويقول هيرودوتس: إنها أفروديت الإغريقية، ولعلها كانت أصلاً إلهة (الحثيين) ثم عرفت فيما بعد باسم (جالي) كانوا يجرحون أجسادهم في طقوس عبادتها الجهنمية[2].

لقد قام إيردمنس بمقارنة بين طقوس العزاء على الحسين التي كانت تجري في بداية القرن التاسع عشر في إيران، وبين طقوس الموت والبكاء على الإله تموز (ديموز) التي كانت تقام سنوياً في سومر وبابل، عند التحوّل في فصول السنة، وعلى وجه التحديد، التحول من فصل الربيع، الذي يمنح الخصوبة والحياة إلى فصل الصيف الذي يؤدي إلى اليباس والموت بسبب شمسه المحرقة التي تقتل تموز وأكثر من ذلك تسرق منه قوة الخصب التي فيه.

فرأى أن الاحتفالات التي كانت تجري في شارع الموكب ببابل من أجل تموز تلقي ضوءاً يساعدنا على مقارنتها بما كان يجري في إيران في القرن التاسع عشر أيام عاشوراء من بكاء ونواح وتراتيل حزينة، كما استشهد إيردمنس برمز آخر من رموز الاحتفالات بعاشوراء هو (كف العباس) التي ترفع في مواكب العزاء والتي تدل على تشابه واضح مع طقوس بابلية وكريتيّة وكذلك يهودية قديمة حيث ترمز الكف إلى الخصوبة مثلما ترمز إلى الوعي بعودة تموز

(1) **التوراة**، في سفر التكوين، 14/ 5. وكذلك في سفر التثنية، 1/ 4.
(2) **دائرة المعارف الكتابية**، 1 / 704، ط. دار الكتاب المقدس، بيروت ـ لبنان.

ثانية بالرغم من موته في ربيع العام القادم والتقائه بحبيبته عشتار إلهة الخصوبة البابلية. وقد دعم إيردمنس فرضيته بأدلة لغوية وهي أن اسم (تموز) مركب في اللغة المسمارية البابلية القديمة من معنيين هم (يَد) و(حبوب)، ولكن اليد المفتوحة التي ترفع في رؤوس الأعلام والرايات في مواكب العزاء الحسيني إنما ترمز إلى (كف العباس) التي قطعت خلال المبارزة في معركة الطف بكربلاء وهي (كف) غالباً ما تكون مصنوعة من النحاس وتعبّر عن تضحية العباس بيده من أجل جلب الماء من نهر الفرات إلى طفل الحسين الرضيع بعد أن قطع جيش ابن زياد الماء عن الحسين وأصحابه وهي حقيقة تاريخية.

وقد أكد إيردمنس على أن هذه الطقوس إنما هي استمرار لطقوس الربيع التي كانت تقام من أجل الإله تموز وإنها استمرت في حرّان والموصل حتى القرن الحادي عشر وكذلك الثالث عشر الميلادي في شمال العراق ولو بشكل بسيط ومحوّر مع أن الفترة الزمنية بينهما ليست طويلة نسبياً ولكن على المرء ألّا يذهب بعيداً ليربط بين هذه الطقوس وتلك، وبخاصة بين إيران والعراق لأن تأثير إيران على العراق لم يبدأ إلا في القرن السادس عشر الميلادي بعد مجيء الصفويين إلى الحكم[1].

هذا هو رأي إيردمنس في أصل الطقوس الحسينية وهناك آراء أخرى كثيرة في تأثيل أصولها فمن المستشرقين من أرجع أصلها إلى طقوس الحزن والبكاء على السيد المسيح كما ذكرنا ذلك. ومنهم من

(1) **تراجيديا كربلاء**، المصدر السابق، 322.

أرجعها إلى بكائيات اليهود على دمار أورشليم من ذلك اليوم إلى هذا اليوم يسفحون دموعهم وينوحون بالاهتزاز وقراءة التراتيل عند حائط المبكى. وقالوا غير ذلك. وأقول: إن لكل أمةٍ أبطالها المغدورين وإن لكل أمة وشعب من شعوب العالم طريقته في التعبير عن حزنهم على أبطالهم المغدورين.



صورة لزوار المراقد المقدسة في طريقهم إلى كربلاء على جمالهم، أخذت الصورة في فصل الشتاء في بداية القرن العشرين خلال العهد العثماني

أحزان بني إسرائيل على موتاهم

يقول (فريزر)[1]: كانت العادة عند الإسرائيليين القدماء أن يظهروا حزنهم على وفاة أصدقائهم عن طريق قطع أجسامهم وقصِّ جزءٍ من شعر رؤوسهم لتبدو صلعات فوق رؤوسهم وقد ذكر النبي (إرميا)[2]متنبئاً بالدمار الذي كان من المتوقع أن يحلّ بأرض الميعاد (فلسطين)، كيف أن الناس سوف يموتون دون أن يجدوا من يقوم بدفنهم ويؤدون لهم شعائر الحزن المألوفة، فقال: (فيموت الكبار

(1) فريزر هو السير جيمس جورج فريزر (1854 ـ 1941م) عالم أنثروبولوجي معروف في الدراسات الفولكلورية والأنثروبولوجية. اشتهر بكتابه الهام (الغصن الذهبي) وهو في اثني عشر مجلداً واختصره في كتاب واحد ترجمه إلى العربية (نايف الخوص) في (910) صفحات. وكان قد ترجم الجزء الأول من المجلدات الاثني عشر من قبل لجنة بإشراف (د. أحمد أبو زيد) سنة 1971م ولكن توقفت اللجنة عن إتمام ترجمة بقية المجلدات لأسباب غير معروفة. ومن أشهر كتبه الأخرى (الفولكلور في العهد القديم) وقد ترجمت منه د. نبيلة إبراهيم جزأين سنة 1972م ثم توقفت عن الترجمة. وقد استفدنا من هذا الكتاب المعلومات المتعلقة بموضوعنا (التطبير).

(2) إرميا (نحو 650 ـ 585 ق.م) أحد كبار أنبياء بني إسرائيل الأربعة، تنبأ لمواطنيه بسقوط أورشليم (القدس) ودعاهم إلى الخضوع لملوك بابل، واضطهدوه بعد سقوط المدينة، ثم نجا من السَّبي فأرغمه بعض مواطنيه على الهرب معهم إلى مصر حيث مات هناك. ونسب إليه كتاب (مراثي إرميا). انظر: **أعلام المنجد**، مادة إرميا.

والصغار في هذه الأرض، لا يدفنون ولا يندبون ولا يخمشون أنفسهم ولا يجعلون قرعة من أجلهم[1].

وكان خمش الوجوه والأيادي مألوفاً في الشعائر الإسرائيلية عند موت أحبائهم. يقول فريزر: وعلى الرغم من أن الإسرائيليين ظلّوا يمارسون عادات الحزن هذه زمناً طويلاً دون إبداء الاستياء منها، إلا أن هذه العادات أصبح ينظر إليها فيما بعد بوصفها عادات بربرية وثنية. ولهذا فقد حرمت في الشرائع القانونية التي أُلفت عقب نهاية الحكم الملكي اليهودي، أي في أثناء الأسر البابلي أو بعده. فنحن نقرأ في أسفار موسى الخمسة التي ذاعت في أورشليم عام 621 ق.م. أي قبل الغزو، الآيات التالية: (أنتم أولادُ الربّ إلهكم، لا تخمشوا أجسامكم ولا تجعلوا قرعة بين أعينكم لأجل ميت، لأنك شعبٌ مقدس للربّ إلهك وقد اختارك الربُّ لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض)[2]. فهنا نجد أن تحريم هذه العادة يرتكز على مكانة دينية شاذة احتلها الإسرائيليون بوصفهم شعب (يهوه). وقد نصحت هذه الأمّة أن تكفّ عن التمسك بهذه العادات الغريبة التي كانت تنتشر بين الشعوب الوثنية المجاورة لهم بوصفها أفعالاً ينفر منها الذوق السليم والإنسانية معاً.

ولكن يبدو أن المشرّع قد بيّن أنه ليس من اليسير أن يستأصل بجرّة قلم عادات قد تأصلت في العقول الشعبية وطالما نظر إليها الشعب بوصفها عادات لا إثم وراءها، لأنه أَلَحَّ فيما بعد كما لو كان قد شعر

(1) فريزر، **الفولكلور في العهد القديم**، 2/ 175.
(2) سفر التثنية، 14/ 1، وما بعدها.

باليأس من أن الناس جميعاً سوف يهجرون تلك العادات المتبعة في إبداء الحزن. على أن الكهنة على الأقل سوف يتجنبون تلك العادات كليّة، فقال: (وقال الربُّ لموسى: كلم الكهنة بني هارون وقل لهم لا يتنجّس أحد منكم لميت في قومه إلا لأقربائه الأقرب إليه، أمه وأبيه وابنته وأخيه وأخته العذراء القريبة إليه التي لم تصِرْ لرجل، لأجلها يتنجَّس)[1].

فجعل تلك الممارسات الشعائرية تنجيساً. كما قصرها على عترة الرجل أهل بيته عدا البنت المتزوجة من رجل غريب فهو الذي يتنجس بممارسة تلك الشعائر.



جلد الذات في عيد الغفران اليهودي

(1) فريزر، **الفولكلور في العهد القديم**، 2/ 177.

تطبير الرؤوس وتجريح الأجساد
في تقاليد الشعوب البدائية وغير المتحضرة

لقد أثبت فريزر من خلال الدراسات الميدانية للشعوب البدائية وغير المتحضرة على حد تعبيره أن عادة حلق الرؤوس وتجريح الأجساد حزناً على الموتى تنتشر انتشاراً كبيراً بين الأجناس البشرية كافة، من الراقية منها كالإغريق القدماء والرومان والآشوريين إلى الشعوب البدائية وغير المتحضرة التي تسكن في أفريقيا وغيرها من الأمكنة التي لم تصلها الحضارة. وهي موجودة عندهم إلى حدّ هذا اليوم وكذلك السلافيون وقبائل (ألهون) والقوقاز.

ومن هذه الشعوب (السكيشيانيون)، فإنهم يحلقون شعرهم بأكمله ويجرحون أذرعهم ويخدشون جباههم وأنوفهم ويبترون آذانهم ويغرزون سهاماً في أيديهم اليسرى عندما يتوفى ملك من ملوكهم.

وفي أفريقيا نجد أن من عادة الأحباش عندما يحزنون على وفاة قريب أن يقصوا الشعور وينثروا الرماد على رؤوسهم ويخدشون خدودهم حتى يسيل منها الدم.

وإذا حدثت وفاة عند قبيلة وانيكا التي تسكن في شرق أفريقيا فإن الأصدقاء والأقرباء يجتمعون ويعولون بصوت عالٍ ويحلقون

رؤوسهم ويخدشون وجوههم. وعند قبيلة كيسي التي تعيش عند حدود ليبريا، تغطي النساء أجسامهن عند الحزن على الميت كما يغطين رؤوسهن بصفة خاصة بطبقة من الطين ويخدشن وجوههن وصدورهن بأظافرهن.

وكانت تقاليد تجريح الأجساد عند الحزن على الموتى مألوفة بين القبائل الهندية في أمريكا الشمالية. فإذا حدثت وفاة عند قبيلة (كينسيتينوه) أو (كري) التي كانت تنتشر في مساحة واسعة في غرب كندا، فإنهم يعبّرون على هذا النحو عن أحزانهم. وإذا كان الفقيد عزيزاً عند أقربائه، فإن أقرباءه الأدنين يقصون شعورهم ويخزون الرماح والسكاكين في أفخاذهم وأذرعهم ويطلون وجوههم بالفحم[1].

وبعد أن يستعرض فريزر ما يفعله هنود (ألاسكا) وغيرهم من القبائل التي تسكن في تلك البلاد، على هذه الشاكلة من تجريح الأجساد يقول: وقد يتراءى للرائي عندما ينظر إلى هذه القبائل البدائية وغير المتحضرة والدماء تسيل من أجسادهم أنهم لن يبرؤوا من مثل هذه الأعمال المتوحشة التي يصنعونها بأنفسهم ولكن مثل هذه الجروح وإن تكن سيئة ليست خطرة[2].

وقد كان من عادة رجال ونساء هنود ولاية واشنطون الشجعان الذين يتميزون برؤوسهم المفلطحة أن يعلنوا الحداد على المحارب المتوفى بأن يقطعوا قطعة من لحمهم ويلقونها في النار مع جذوع الأشجار. وإذا ألـمّت كارثة بهنود هذه المنطقة كأن يتوفى زعيم

(1) **الفولكلور في العهد القديم**، 2/ 177 وما بعدها.
(2) المصدر السابق نفسه، 2/ 182.

مرموق أو تقتل جماعة من محاربيهم بيد قبيلة معادية، فإن الجميع يشتركون في إظهار هذه العواطف المحمومة، فينتزعون شعورهم ويجرحون أجسامهم بحجر القداحة وكثيراً ما يصيبون أنفسهم بأذى بالغ.

وقد كانت عادة أقرباء الميت في قبيلة (شينوك) وغيرها من القبائل الهندية التي تسكن في (أوريجون) أو عند نهر كولومبيا أن يدمّروا ممتلكاتهم ويقصّوا شعورهم، ويشوهوا أجسامهم ويجرحوها. ولكي يجرح الرجل الهمجي نفسه، فإنه يمسك بجزء من جلده بين الإبهام والسبابة حتى يبرز هذا الجزء، ثم يأتي بسكين ويزجّه في وسطه فيترك هذا القطع، بعد أن يعود الجلد إلى وضعه الطبيعي جرحاً بالغاً قبيح المنظر أشبه بالجُحر. وأن هذا الجرح يتدفق الدم بغزارة منه.

وبمجرد أن تصعد روح الميت عند الهنود (الجالينومين) فإنهم يلقون بالجثة في وقار بين النار المضطرمة المعدة لحرقها، وليس من اليسير وصف تلك المناظر البشعة التي يقومون بها من صراخ وعويل مفزع، إلى إصابة الجسم بجراح بالغة في أثناء احتراق الجثة، ويقول (جوزيف فيتش) إنه قد رأى هندياً أصابه الهياج إلى درجة أنه دفع بنفسه بين النار المتوهجة وانتزع قطعة من جسد الميت المحترق والتهمها[1].

وكانت الأسلحة التي تستعمل في تجريح الرؤوس والأجساد بدائية فقد استخدمت هذه الشعوب البدائية لهذا الخصوص أسنان

---

(1) الفولكلور في العهد القديم، 2/ 182.

سمك القرش وهي أسنان حادة مترابطة مع بعضها بشكل غير منتظم بحيث يستطيع القرش أن يفصل بها ساق إنسان عن جسده بقضمة واحدة. كما استخدموا الأحجار الحادة كحجر القدح واستعملوا كذلك القواقع الحادة وقطع الزجاج البركاني الأسود.

واستخدم سكان أستراليا الأصليون الفؤوس (الأطبار) والأحجار الحادة يضربون بها على رؤوسهم. كما نجد عند بعض شعوب هذه القارة فنّاً آخر من فنون إدماء الرؤوس هو تدليكها تدليكاً شديداً بالتراب حتى يتدفق الدم منها ويختلط بالوسخ بشكل مقزّز.

واستخدموا العصيّ في الضرب على فروة الرأس وكذلك العصي المعقوفة عند التجريح وفي هذه الحالة يكون القبر مفتوحاً والميت مسجى في داخله، فيحني هؤلاء الرجال رؤوسهم ليسقط الدم على الجثة[1].

كما استخدمت هراوات الحرب في إحداث الجروح بالرأس وعصيّ الحَفْر ثم يخلص فريزر بعد استعراض نماذج كثيرة أخرى أصفحنا عن ذكرها تجنباً لملل القارئ، يخلص إلى القول بأن انتشار عادات قطع أجسام الأحياء وقص شعرهم بعد فقد عزيز لديهم نشأت في الأصل بقصد إرضاء روح الراحل وخدمتها على نحو ما. وبناءً على ذلك فحيث انتشرت هذه العادات فإنها تؤخذ كشاهد على أن الناس الذين اتبعوها كانوا يرغبون في إقامة علاقة ودّية مع الميت، وبتعبير آخر فإن انتشار هذه العادات تعني استرضاء الميت أو تقديسه. وحيث إنه يبدو أن العبريين قد مارسوا عادة إصابة الأجسام بجراح

---

(1) الفولكلور في العهد القديم، 2/ 194.

وعادة قصّ الشعر احتراماً لأقربائهم المتوفين فإننا نضمّهم بشيء من الثقة إلى زمرة القبائل المتعددة والشعوب التي كانت تنزع إلى تقديس الأجداد في زمن أو آخر.

وقد كانت هذه العقيدة تتمتع من بين كل أشكال الديانات البدائية بانتشار واسع، وبتأثير كبير على الشعوب. ومن المحتمل أن العلاقة الوثيقة بين عادات الحزن وتقديس الأموات كانت معروفة لدى الإسرائيليين حتى قرب عصر الملوك. وربما أمدّت المصلحين الدينيين في هذا العصر بالدافع الأساسي وراء تحريم عادات الحزن الغريبة هذه التي عدّها بحق أثراً من آثار الوثنية[1]. وهو الدافع نفسه الذي حدا ببعض متنوري المراجع الشيعية إلى تحريم التطبير وغيره من الممارسات الشاذة التي تبتكر كل عام كممارسة النباح كالكلب.



لوحة لهنود يتطبرون

(1) الفولكلور في العهد القديم، 2/ 200.

المتفجّع في صورة كلب نابح

لقد ظهرت هذه البدعة في السنوات الأخيرة، وصارت ضمن الشعائر الحسينية الشاذة حيث قام جمع من السوقة بالزحف على أربعتهم قاصدين الضريح الحسيني من مسافة غير بعيدة وهم أثناء زحفهم يعوون كالكلاب، ومعتقدهم في ذلك على أساس التذلل للإمام كما الكلب يفعل لصاحبه. وقد جاء استنكاره من قبل الفقهاء وتحريمه. ذكر ذلك الباحث (علي الإبراهيمي) في رسالته (مختصر حكم الفقهاء في التطبير وسَير النساء) قال:

(ثم إن بعض ما رأيناه من المواكب المبتدعة وما سمعناه من عمد بعض المجانين المهووسين بالعاطفة الرديئة السَّلبية إلى النباح كالكلاب بداعي التذلل والخضوع للمعصومين كما يدّعون وهي أمورٌ وسلوكيات تنزل بمستوى أنصار المعصومين إلى الدنيء الرديء من الأحوال وتقلب حال الرجال إلى الهوان مما يرفضه المعصومون ﷺ)[1].

أقول: إن النزول بالشعائر الحسينية إلى هذا الدرك السافل المتمثل بالزحف كالكلب وتقليد صوت الكلب استناداً إلى تلك الحجّة السخيفة إنما هو تقليد من تقاليد البدائيين الذين ذكرنا بعض

(1) انظر: موقع ملتقى النهرين نقلاً عن موقع علي الإبراهيمي A1930a24@gmail.com

ممارساتهم في الباب السابق ونضيف إليه تقليد صوت الكلب استناداً إلى الحجة نفسها.

فنقرأ في كتاب (فريزر) الآنف الذكر: إن هنود شبه جزيرة كاليفورنيا، إذا حدثت وفاة عندهم، فإنّ من يود أن يبدي لأقرباء الميت شدة حبه له، فإنه ينتظر قدوم أقرباء الميت في مخبأ فإذا مروا به فإنه يخرج من مخبئه زاحفاً على وجه التقريب ويتغنّى بصوت شاك حزين قائلاً:

- هُو... هُو... هُو...

ثم يضرب رأسه بأحجار حادة مُدَبّبة (يعني يتطبر بمصطلحنا) حتى يسيل الدم على كتفيه. ثم يقول فريزر: وعلى الرغم من أن هذه العادة البربرية كثيراً ما كانت تحرّم، إلا أن الناس لا يبدون استعداداً للكفّ عنها[1].

أقول: يا سبحان الله ما أعجب هذا التماثل في الممارسات والأعجب منه تمسك القبليين بتلك الممارسات البدائية غير المتحضرة رغم النواهي والمحرمات.

إننا يمكننا أن نعذر أولئك البدائيين على فعلتهم تلك لكونهم أُناساً بدائيين بسطاء وهذا هو تعبيرهم عن شدة الحب للفقيد العزيز باتخاذ هيئة الكلب، الصديق الوفي للإنسان عن طريق تقليد زحفه وصوته فكأنما يريد هذا المقلّد أن يقول لأقرباء الميت: أنا كلب له.

(1) **الفولكلور في العهد القديم**، المصدر السابق، 2/ 182.

ولكن كيف نبرّر عذراً لأصحابه بدعة النباح نباحهم وهم في عصر التنور والعلم.

ثم كيف تواردت الخواطر بين الاثنين في اتخاذ الكلب عنصراً من عناصر التفجّع؟

نستطيع أن نقول بأنه لم يحدث توارد للخواطر وإنما هي عقيدة مأثورة بين شعوب العالم عن ذلّة الكلب أمام سيده وهذه العقيدة موجودة عند الكربلائيين أصحاب النباح فوظفوها بطريقة جعل أنفسهم كلاباً ذليلة للحسين أو إنهم كلاب الحسين بالفعل.

ويبدو لنا أنهم قد أخذوا الصورة من صورة كلب فتية الكهف الذي تبعهم إلى الكهف فأُغلق عليهم وبقي كلبهم معهم باسطاً ذراعيه بالوصيد[1].

ولكن بقي الأمر الغائب عنا هو، كيف كان المتفجعون على الحسين ينبحون؟ هل اتخذوا صوت نباح الكلب الهندي:

- هو... هو... هو...

أم اتخذوا صوت نباح الكلب العراقي:

- حَوْ... حَوْ... حَوْ...

لسنا نعلم وإنما علمه عند من هيأهم لهذه المهزلة المضحكة وعليه وزرهم.

(1) قال تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: 18].

ماذا يجري في كُنُس اليهود؟

في الواقع إن ما ذكرناه من فتح باب الكنيسة المسيحية بضربه بالرؤوس حتى تنفجر الرؤوس بالدم[1] إنما هو تقليد شعائري مستنسخ من تقليد يهودي مشابه، إلا أنه يقام لغرض سياسي، ولكنه أسلوب من أساليب التعذيب الجسدي شبيه بالتطبير من ناحية إدماء الرأس.

ويدرب اليهود أبناءهم عليه منذ الصغر، ويتوضح بشكل جليّ عند شريحة يهود كردستان القديمة الساكنة في أقصى جبال كردستان العراق. والشريحة هذه بقيت محافظة على التقاليد اليهودية الأصلية.

ففي مدينة العمادية وفي طقس قراءة (مانيشتانه) في الكنيس، يقوم الرجال عند الوصول إلى هذه المرحلة باختيار ابن ميري بيسحة (أمير الفصح) مع بعض الصبية ويطلبون منهم أن يخرجوا ويضربوا برؤوسهم بباب الحائط (الذي يشبهونه بحائط المبكى في أورشليم القدس) فيخرج هؤلاء الصبية ويشرعون بالطرق على باب الغرفة برؤوسهم ويشجعهم الآباء على التنافس في قوّة الضربات لأن الفائز هو الذي سيقرأ فيشجعونهم قائلين: (إنكان لي ماخبتن ريشوخ بيش إلِّين تارعه لي بوا خلوخ بيعه).

---

(١) راجع: الباب التاسع عشر.

ومعناه: (إذا لم تضربوا الباب برؤوسكم بقوة أكبر فلن تحصلوا على البيض) حيث تكون هديتهم بيضاً وهو بيض عيد الفصح الذي يقابل بيض دورة السنة (النوروز) في تقاليدنا الشعبية.

ويفعل الصِّبية ما يطلبُ منهم ويضربون بقوة أكبر ولكن الآباء يظلون يصرخون من الداخل: (لا سمعيلان) أي (لا نسمعكم) ويكررون القول مرات عديدة والصبية يضربون بقوّة أكبر حتى تدمى جباههم في كثير من الأحيان من أثر ضرب الباب. وفي النهاية يفتح الباب للصبية ويقفون أمام آبائهم وقد أخذ الإعياء منهم مأخذاً كبيراً وسالت الدماءُ من رؤوسهم فيستجوبهم الآباء بالحوار الآتي:

- من أين جئتم؟

فيجيبون: من مصر.

- وإلى أين تذهبون؟

- إلى أورشليم[1]

وإذا تأملنا هذا الحوار ملياً نجده عبارة عن تلقين يغرس في أذهان اليهود منذ الصغر لإعدادهم للحج إلى أورشليم وممارسة الطقس هناك في المكان الخاص به وهو (حائط المبكى).

ونشاهد هذا التقليد يقام بحذافيره عند زيارة اليهود لمرقد (أبي حصيرة) في (ديمتوه) بمصر حيث يقومون بضرب جدار القبر

(1) **يهود كردستان**، أريك براور، ص342، نقله إلى العربية: شاخوان كركوكي وعبد الرزاق بوتاني، دار ئاراس للطباعة والنشر، أربيل كردستان العراق.

برؤوسهم حتى تدمى[1]. وكل ذلك من أجل أن يبقى حلم العودة إلى أرض الميعاد راسخاً في عقول اليهود.



طقوس بكاء اليهود عند ضريح أبي حصيرة

وأبو حصيرة هذا رجل يهودي اسمه (يعقوب) يقدسه يهود المغرب. ولد في الصحراء الغربية جنوب المغرب سنة (1807م) وغادرها لزيارة أماكن مقدسة في فلسطين عن طريق البحر. وعند رجوعه إلى وطنه عبر مصر توفي تحديداً في قرية (ديمتوه) في دمنهور سنة (1880م) ودفن على ربوة فيها. وبنى اليهود على قبره بناء ضخماً كأبنية قبور الأولياء وصاروا يزورونه من كل أنحاء العالم ويحتفلون في داخل البناء احتفاليات أفراح واحتفاليات أحزان. وفي احتفاليات

---

(1) حسين علي الجبوري ، **البكاء على تموز عند ضريح الولي أبي حصيرة** ، ط. الأولى دار تموز ، 2012 م، ص189.

الأحزان يجرون طقوساً خاصة حيث يقومون بشقّ ملابسهم ويظهرون شبه عراة وينشدون أثناء ذلك أدعية حزينة ثم ينخرطون في بكاءٍ ونحيب بحرقةٍ أمام القبر. يتخلَّل ذلك القيام بضرب رؤوسهم بجدار القبر حتى تدمى مع حركات تعذيب أجساد مثل جلد الأجسام بالسياط، والتضارب مع بعضهم بأغصان الصفصاف وخمش الوجوه وتجريح الأذرع وغير ذلك[1].

(1) للتفصيل: راجع كتابنا **البكاء على تموز عند ضريح الولي أبي الخضر**.

أدوات التجريح

يستخدم المتفجعون بكافة أصولهم الإثنية الجنسية كل ما يتيسَّر في محيطهم من أدوات تفي بغرض إدماء الرؤوس والأجساد. وتباع هذه الأدوات في أسواق المدن الشيعية، فتراها معروضة حتى على الأرصفة، ويشتريها الشخص لاستعماله الخاص، فإذا أنهى دوره غسلها من الدماء وغيّبها في مكان أمين للموسم القادم.

ونجد من هذه الأدوات ما يستورد من الخارج كإيران والهند والصين وروسيا. ومنها ما يصنع محلياً. إلا أن المستورد يكون أكثر تقبلاً لدى المتطبرين نظراً لكونه ذا فاعلية أجود بسبب نقاوة حديده ومضاء حافته.

وأشهر هذه الأسلحة (القامة) وهي سيف ذو حافتين ماضيتين مستقيم شبيه بالسيوف الرومانية. وسُمي هذا السلاح بالقامة وأفضل أنواع القامات الروسية والتركية والفارسية[1].

ثم السيف العربي المعروف المنحني وله حافة واحدة حادة. وتجد في بعض هذه السيوف والقامات كتابات محفورة فيها اسم

(1) القامة : فارسية (قامت) وتعني القَدّ. وتركية Kama وتعني حربة. (**معجم المصطلحات والألفاظ الأجنبية في اللغة العامية العراقية**، د. مجيد محمد) والتطبير في الفارسية Kama Zani أي الضرب بالقامة.

صانعها ومكان صنعها وتاريخه. وبعضها مزخرف بزخارف جميلة وآيات قرآنية، وقد شاهدت بعضاً من هذه السيوف بفقارين للتشبه بسيف الإمام علي ذي الفقار ويطلق عليه شعبياً (سيف الفقّار) بالتشديد.

ثم (الچنتيانه) وهي سكين طويلة وغليظة ومستقيمة، حادة من وجه واحد ولها استعمال آخر غير استعمالها في التطبير، فإنها تثبت في أعلى ماسورة البندقية فيتقاتل بها في حالة الحرب.

ثم (اليَطَغان) بفتح الياء والطاء وهو يشبه الچنتيانه ولكنه أقصر ومعقوف الرأس قليلاً وحاد من وجه واحد أيضاً.

ثم (القَليج) وهو سيف رفيع وطويل ومستقيم وحاد من وجه واحد[1]. وقد يستخدم البعض منهم أحياناً خناجر كبيرة[2].

ويستخدم الصبيان (شفرة الحلاقة) عند تطبير أصابعهم[3]. أما أصحاب ضرب الظهور بالسلاسل فبعضهم يستخدم سكاكين صغيرة حادة الطرفين، يثبتون في طرف كل سلسلة سكيناً واحدة وقد يربو عدد السكاكين على الخمسين حسب عدد السلاسل.

أما المسيحيون فيستخدمون في ذكرى (الجمعة الحزينة) وهي ذكرى موت السيد المسيح على الصليب، يستخدمون في تجريح

---

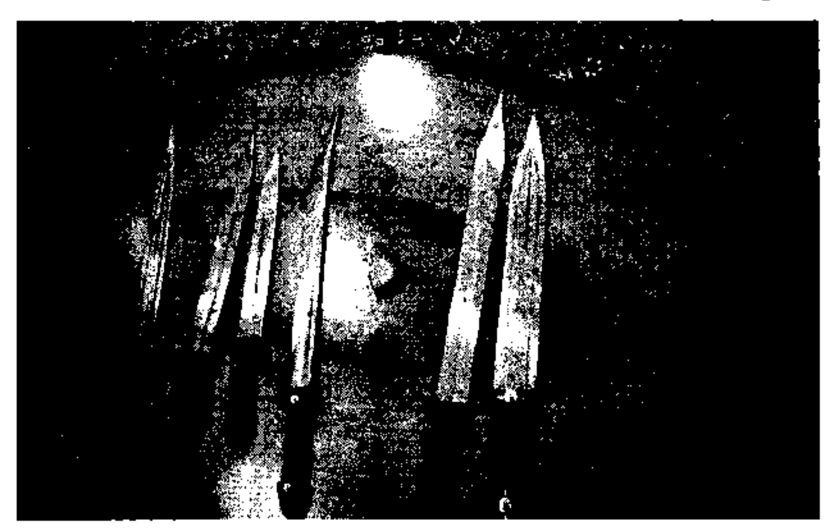
(1) جاء في **تكملة المعاجم العربية** لدوزي، 8/ 357. القليج: تركية: سيف عريض معقوف.

(2) **تراجيديا كربلاء**، إبراهيم الحيدري، ص 114.

(3) انظر: باب (تطبير أصابع الصبيان) الباب الرابع.

أفخاذهم (فرشاة) من الخشب غرست في سطحها قطع الزجاج المدبّب أو الفرش السلكية الخاصة بتنظيف الحديد من الصدأ أو يستخدمون السياط لجلد أجسامهم[1].

أما قبائل البدائية وغير المتحضرة فيجرحون رؤوسهم وأجسامهم عند موت بطل منهم أو ملك من ملوكهم أو قريب عزيز من أقربائهم يجرحونها بأدوات بدائية يأخذونها من محيطهم كالرماح والسهام والسكاكين المحلية الصنع. ويستخدمون كذلك في التجريح أسنان سمك القرش الحادة وهي شديدة التجريح تحدث عدة صفوف من الجراحات العميقة.



بعض آلات التطبير

(1) راجع الباب الثامن.

كما يجرحون أنفسهم بأحجار القدح وحافات القواقع الحادة وقطع الزجاج البركاني الأسود والفؤوس الشبيهة بالأطبار والأحجار الحادّة.

واستخدم الأستراليون البدائيون التراب يدلكون به الجسم دلكاً شديداً حتى يخرج منه الدم كما استخدموا العصي بالضرب على فروة الرأس حتى تدمى وكذلك العصي المعقوفة.

استنتاج

ومن خلال ما مرّ بنا من أخبار ومشاهد عن طقوس التجريح والتطبير المقامة في مناسبات مقاتل الأبطال أو موت الأقرباء والأصدقاء، نستنتج أن التطبير وتجريح الأجساد على مقتل الحسين لم يكن عربي الأصل وإنما ورد من طقوس شعوب أخرى مجاورة كإيران وتركيا أو بعيدة كالهند والقفقاس وأورمية وغيرها.

وقد وفدت هذه الشعوب إلى المدينتين المقدستين الرئيستين كربلاء والنجف لزيارة ضريحي (بطلي الخلاص) القتيلين، الإمام الحسين بن علي والإمام علي ﷺ، فمارست هذه الشعوب طقوسها القومية في التفجع المتسمة بإدماء الرؤوس بالسيوف والقامات وتجريح الظهور بالسلاسل الحديدية فساروا في شوارع المدينتين بتلك الصورة الوحشية.

وقد وجفت قلوب أهالي المدينتين من هذا المنظر أول الأمر ثم اعتادوا عليه بعد ذلك وألفوه واستوعبوه ثم فلسفه بعض علمائهم وأيّدوه فانصاع لهم بعض العامة وقلدوه فكان ما كان من أمرهم حتى اليوم.

ولكن من هي تلك الشعوب التي بدأت وما تاريخ البداية؟

في الواقع إن المؤرخ لا يستطيع أن يبتَّ حول هذا الأمر بتاريخ دقيق بسبب تضارب الروايات، ولكن أحد الباحثين المؤرخين وهو السيد إبراهيم الحيدري انبرى للبحث عن ذلك فثبت له أن هذه المراسيم لم تكن في الواقع معروفة ومتبعة من قبل العراقيين وإنما عرفت في بداية القرن العشرين وإن أصولها ليست عربية. يقول:

(وما يؤيد قولنا هذا ما ذكره الشيخ كاظم الدجيلي: أن العرب لم يكونوا يشاركون في مثل هذه الطقوس حتى بداية هذا القرن (القرن العشرين) وإنما كانت تقتصر على التركمان والدراويش وكذلك على إيرانيين وأكراد من جبال بشتكوه)[1].

وقد أشار تقرير بريطاني عن (عاشوراء) عام 1919م في النجف بأن مجموعة من مئة شخص فقط كانوا يمارسون شق رؤوسهم وكانت تقتصر على الشيعة الأتراك والفرس بالأساس. ويدعم هذا الرأي ما قاله السيد محمد بحر العلوم: أتذكر عندما كنت في النجف، وأنا الآن على أبواب السبعين أنه قبل خمسين أو ستين سنة كان هناك موكب (الترك) فقط. وكما أتذكّر، كانوا يذهبون إلى بيت السيد بحر العلوم الكبير ويطلبون من شيبة العلم أن يقرأ أحدهم أبياتاً شعرية مؤثرة في الإمام الحسين، وكان بعضهم يجرح نفسه جرحاً خفيفاً مواساة للإمام الحسين. ثم تطوّر وتوسع، ولكنه لم يتوسع بالقدر الذي حصل بعد منع حكومة ياسين الهاشمي للتطبير سنة (1935م) وردة الفعل عليه حيث تطورت وأصبحت ثلاثة مواكب.

---

(1) من مقالة له منشورة في مجلة **لغة العرب**، ص287 سنة 1963 م بعنوان: عاشوراء في النجف وكربلاء.

كما نقل عن الحاج حيدر بن راضي بن أحمد أحد معمري أبناء كربلاء المتوفى عام 1956م عن عمر ناهز المئة وعشر سنوات، قوله بأن ضرب القامات والزناجيل لم يكن موجوداً أيام شبابه في مدينتي كربلاء والنجف.

كما أن روايات المعمرين الشفوية لا تشير إلى أن النجف وكربلاء شهدتا أي نوع من ممارسات ضرب السيوف أو السلاسل الحديدية قبل منتصف القرن التاسع عشر وأن أول من مارس مثل هذه الطقوس في العراق كانوا زواراً أتراك من (قزلباش) الذين جاؤوا لزيارة الحسين في كربلاء واستخدموا سيوفهم الخاصة (القامات) في ضرب رؤوسهم[1].

وقد جاءت أول إشارة إلى ممارسة ضرب السلاسل الحديدية (الزناجيل) من النجف، حيث قيل بأن أول موكب لضرب السلاسل الحديدية حدث في حيّ (المشراق) عام 1919م لنعي وفاة المجتهد الأكبر كاظم اليزدي. ومن الملاحظ أن هذه الممارسات كانت تجري على نطاق ضيق ومحدود وتقتصر على غير العراقيين. وفي الوقت الذي كانت ممارسة اللّطم على الصدور في العراق متبعة ومعروفة منذ عدة قرون، كانت ممارسة التطبير بالسيوف قد نشأت منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، في حين نشأت ممارسة الضرب بالسلاسل الحديدية في العراق بعد الحرب العالمية الأولى[2].

---

(1) نقلًا عن: طالب علي الشرقي، **النجف الأشرف عاداتها وتقاليدها**، ص 223.

(2) **تراجيديا كربلاء**، المصدر السابق، 456 وما بعدها.

نداءات التحريم

يقول الباحث الإيراني جواد محدثي: (التطبير شأنه شأن الضرب بالسلاسل والتشابيه والطقوس الأُخرى كان منذ القدم موضع اختلاف بين العلماء والأتباع والمقلدين. وكثر الإفتاء والاستفتاء في جوازه أو عدمه، وهذه الشعائر ليس لها أساس ديني من الوجهة الشرعية، وإنما تجري وفقاً لما يكنّه الشيعة من محبة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، والعلماء يجيزونها في حالة عدم ضررها، بينما لا يجيزها عدد آخر من الفقهاء بسبب تأثيراتها السلبية على أفكار الآخرين وما توجبه من وهن المذهب، والظروف الزمانية لها دورها أيضاً في هذا المجال، أجاب أحد الفقهاء عن السؤال الذي وُجّه إليه بهذا الخصوص قائلاً:

(في الظروف الحالية لا ينبغي التطبير).

وقال فقيه آخر لدى لقائه بعلماء الدين على أعتاب أيام محرم عام 1994م ضمن حديث مسهب بخصوص إزالة الخرافات عن شعائر العزاء على سيد الشهداء عليه السلام قال:

(إن التطبير من الممارسات السلبية ومن الخطأ أن يمسك جماعة بالسيوف ويضربون على رؤوسهم حتى تسيل الدماء، وأي جانب من هذه الممارسة يرتبط بالعزاء؟ هذا تزوير وهذا من جملة الأمور التي لا تمتّ إلى الدين بصلة).

واعتبره بدعة وخرافة. وأجاب عن سؤال إمام جمعة أردبيل: (التطبير العلني المشفوع بالتظاهر بهذا العمل حرام وممنوع)[1].

* * *

وإذا كان الباحث جواد محدّثي لم يصرّح بأسماء الفقهاء أو العلماء الذين حَرّموا التطبير والشعائر الدموية الحسينية، فإن باحثاً آخر هو السيد نوري محسن محمد علي، مدرس التاريخ في إعدادية كربلاء آلمه أن تتلوث الشعائر الحسينية بدماء المتطبرين، فراح يسأل بعض المراجع عن رأيهم فيها فكانت إجابات ثلاثة منهم إجابات مختصرة وهم:

أ- المرجع الديني السيد محسن الحكيم: لا أحبّذ.

ب- المرجع الديني السيد ميرزا مهدي الشيرازي: لم أمارس ذلك أبداً وكذلك الأمر في أولادي.

ج- المرجع الديني السيد حسين الحمامي: إنها طارئة[2].

* * *

ولكن ثمة باحثين آخرين توسعوا في مجال استعراض أقوال العلماء والفقهاء في تحريم هذه الممارسات الوحشية نذكر منهم الباحث الأستاذ (ذياب مهدي آل غلام) الذي أعلن عن اسمه بصراحة في نشرة موسعة من ثماني صفحات عنوانها:

---

(1) نوري محسن محمد علي، **موسوعة عاشوراء**، ص93، ترجمة خليل زامل العصامي، ط. الأولى 1995م.

(2) عن نشرة وزعها بنفسه على الناس بعنوان: (الشعائر الحسينية).

(العلماء والمراجع والفقهاء القائلين بحرمة التطبير) ونشرها على موقعه وكان عددهم أكثر من تسعين علماً وغالبيتهم رجال دين وفيهم دكاترة ومثقفون ومنهم العراقي والإيراني واللبناني ولا نستطيع إيرادهم جميعاً لضيق المجال وخوفاً من مَلَل القارئ وسنكتفي ببعض النماذج:

1- آية الله العظمى السيد محسن الحكيم: إن هذه الممارسات (التطبير) ليست فقط مجرد ممارسات... هي ليست من الدين وليست من الأمور المستحبة... إن قضية التطبير هي غصّة في حلقومنا.

2- آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي في رده على سؤال حول إدماء الرأس وما شاكل، يقول: لم يرد نصٌّ بشرعيته فلا طريق إلى الحكم باستحبابه[1].

3- آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر، في جوابه لسؤال الدكتور التيجاني حين زاره في النجف الأشرف: إن ما تراه من ضرب الأجسام وإسالة الدماء هو من فعل عوام الناس وجهالهم ولا يفعل ذلك أيّ واحد من العلماء بل هم دائبون على منعه وتحريمه[2].

4- آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني: هو محرم وغير شرعي[3] وقد جاء في كتابه هذا: أن السيد أبو الحسن هو الذي تجرأ فحرّم ضرب الرؤوس بالسيف ولطم الصدور وضرب الظهور

---

(1) **المسائل الشرعية** ج2، ص 337، ط. دار الزهراء بيروت.

(2) كتاب التيجاني، **كل الحلول عند آل الرسول**، ص 150، الطبعة الأولى 1997م.

(3) **هكذا عرفتهم**، جعفر الخليلي، ص90، الطبعة الأولى، 2009م.

بالسلاسل ودق الطبول والصنوج والمزامير وما يجري عادة في أيام عاشوراء باسم الحزن على الحسين.

5- آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: على المؤمنين اجتناب التطبير وشدّ القفل وأمثال ذلك.

6- آية الله العظمى السيد كاظم الحائري: إن تضمين الشعائر الحسينية لبعض الخرافات من أمثال التطبير... من أعظم المحرمات.

7- آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله: لم يأمر بها الشرع ولم يرغب بها[1].

8- آية الله العظمى السيد محسن الأمين: إنها من تسويلات الشيطان وتزيينه سوء الأعمال[2].

9- آية الله محمد جواد مغنية: إن هذه العادات المشينة بدعة في الدين والمذهب[3].

10- آية الله الدكتور مرتضى المطهري: إن التطبير والطبل عادات ومراسيم جاءتنا من أرثوذوكس القفقاس[4].

ثم يعدّد أكثر من ثمانين مرجعاً وعلماً بأسمائهم فقط دون ذكر فتاواهم ثم يذيّل رسالته بقوله:

---

(1) **أحكام الشريعة**، 247.

(2) **المجالس السّنية**، ص 7، الطبعة الثالثة.

(3) انظر كتابه: **تجارب محمد جواد مغنيّة**

(4) انظر كتابه: **الجذب والدفع في شخصية الإمام علي** عليه السلام.

(كل من يشك بهذا فعليه أن يرسل النص كاملاً لأي مكتب من مكاتب المذكورين ليستفسر عن حرمة التطبير، ومن الله التوفيق)

ذياب آل غلام

* * *

أقول: وكان قد ألّف الكثير من مراجع الشيعة كتباً ورسائل في تحريم هذه البدعة نذكر منها (رسالة التنزيه) من تأليف المجتهد الأكبر السيد محسن الأمين (1282 - 1371هـ 1865 - 1952م) مجتهد الشيعة الإمامية في بلاد الشام، تتضمن الرسالة الكلام على ما يدخل في إقامة العزاء للإمام الحسين الشهيد عليه السلام من المحرمات المنسوبة إلى عمل الشياطين مثل:

1- إيذاء النفس والضرب عليها بضرب الرؤوس وجرحها بالمدى والسيوف حتى يسيل دمها. وكثيراً ما يؤدي ذلك إلى الإغماء بنزف الدم الكثير وإلى المرض أو الموت وغير ذلك. وتحريم ذلك ثابت بالعقل والنقل.

2- ومنها استعمال آلات اللهو بالطبل والزمر والدمّام والصنوج النحاسية وغير ذلك.

3- ومنها تشبيه الرجال بالنساء وقت التمثيل.

4- ومنها إركاب النساء الهوادج مكشفات الوجوه وتشبيههن ببنات رسول الله ﷺ وهو في نفسه محرّم لما يتضمنه من الهتك والمثلة، فضلاً عما إذا اشتمل على قبح وشناعة أخرى مثلما جرى في العام الماضي في البصرة من تشبيه امرأة خاطئة بزينب عليها السلام وإركابها الهودج حاسرة على ملأ من الناس.

5- ومنها صياح النساء بمسمع من الرجال الأجانب، وهو معيب وشائن للآداب والمروءة، يجب تنزيه المآتم عنه.

6- ومنها الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة والقبيحة فإدخال هذه الأشياء في إقامة شعائر الحزن من تسويلات إبليس، ومن المنكرات التي تغضب الله ورسوله ﷺ وتغضب الحسين، فإنه إنما قتل في إحياء دين جده ﷺ ورفع المنكرات، فكيف يرضى بفعلها لا سيما إذا فعلت بعنوان أنها طاعة وعبادة.

(كتبت هذه الرسالة في بيروت في الثامن عشر من المحرم سنة 1346هـ).

وقد أعيد طبع هذه الرسالة زمن الرئيس العراقي السابق صدام حسين دعماً للحملة التي قام بها لمحاربة الشعائر الحسينية بكافة أنواعها. ولكن الحملة فشلت وهرب الناس إلى البساتين والمكانات البعيدة عن السلطة فتطبّروا هناك.

* * *

وكانت الدعوة إلى استهجان طقوس الشعائر العاشورائية في لبنان قوية تبناها كبار المفكرين الإسلاميين اللبنانيين وأخص منهم بالذكر آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله[1] الذي قال في كتابه (حديث عاشوراء، 150):

---

(1) محمد حسين فضل الله (2 نوفمبر/ تشرين الثاني 1935 - 4 يوليو/ تموز 2010م) نجل السيد عبد الرؤوف فضل الله، عالم دين معروف في جبل عامل. مرجع ديني شيعي لبناني من بلدة عيناثا الجنوبية، ومن أعلام حركة إصلاح التراث الإسلامي. ولد بالنجف ودرس فيها العلوم الدينية في سن مبكرة جداً ثم تدرج حتى أصبح أستاذاً للفقه والأصول في=

(أنا وقفت منذ سنين ضد هذه المظاهر في عاشوراء ضدّ الضرب بالسيف والسلاسل وضد اللطم الاستعراضي لأن أهل البيت عليهم السلام أرادوا أن تكون (عاشوراء) مظهراً للحزن فجاء جماعة واخترعوا ضرب الرأس بالسيف، ولم تأتنا عن علماء سابقين ولا عن إمام أو نبي، بل بعض المؤمنين أخذهم الحماس وضرب رأسه بالسيف وأعجب الناس الأمر فاتبعوه وصارت عادة مقدّسة، وصار الشخص الذي يتكلم ضدّ هذا كأنه يخرّب الدين ويقف ضد عاشوراء، ونحن لو سألنا كلّ هؤلاء الذين يضربون رؤوسهم بالسيف، لماذا تضربون بالسيف؟ فالجواب إن هذا مواساة للإمام الحسين عليه السلام لأنه ضرب على رأسه.

ولكن هل جرح الحسين نفسه بعقل بارد بحيث رفع سيفه وضرب رأسه؟ أين جرح الحسين؟ جرح وهو يجاهد في سبيل الله في المعركة بين الحق والباطل. الذين يحتفلون ويواسون الحسين عليه السلام هم المجاهدون الذين يواجهون العدّو).

* * *

وفي إيران، حرمت الحكومة الإيرانية الإسلامية شعائر التطبير ومنعتها منعاً باتاً وأجرت عقوبة السجن على من يقبض عليه متلبساً بممارستها. فإذا قبضوا على الشخص مجروح الرأس جعلوا على جروحه كميّة من الملح فيستغيث فيستتيبونه أول الأمر فيطلقون

=حوزة النجف . ثم انتقل بعد ذلك إلى لبنان سنة 1966م وهناك نشط وأسس حوزة فيها وكثيراً من المؤسسات الخيرية حتى وفاته رحمه الله (عن **موسوعة ويكيبيديا الحرة**).

سراحه وإذا قبض عليه مرة ثانية حكموا عليه بالسجن. وعلى هذا اتخذت جموع عاشقي التطبير وضاربي السلاسل الإيرانيين طريقاً إلى المدن المقدسة الشيعية العراقية وأهمها النجف وكربلاء حيث وجدوا -في هذه المكانات المضطربة بالصراعات الطائفية والحكم المنفلت- البقعة الخصبة ليمارسوا فيها شعائرهم الوحشية بكل حريّة دون رادع أو محاسب. بل وجدوا من بعض المرجعيات الإيرانية الساكنة في كربلاء تشجيعاً وتسهيلاً لأمورهم.

وقد انضمت إليهم فرق كثيرة من عاشقي التطبير العراقيين كانت بمثابة (خلايا نائمة) فأيقظتها أصوات الطبول والأبواق والصنوج الإيرانية، فامتشق كل واحد من هؤلاء العراقيين سيفه وقامته وخنجره وراح يقاتل بها . . نفسه.

حسين علي الجبوري

فهرس المصادر والمراجع

- **أدونيس أو تموز**، السير جيمس فريزر / ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط. الثانية، 1979م.
- **البكاء على تموز عند ضريح الولي أبي حصيرة**، حسين علي الجبوري، ط. الأولى، دار تموز 2012م.
- **تراجيديا كربلاء**، د. إبراهيم الحيدري، ط. الأولى 199م، دار الساقي، بيروت-لبنان.
- **التطبير . حماسة الشيعة في عاشوراء**، حسين الموسوي الفالي، نشر الروضة العباسية المقدسة.
- **تكملة المعاجم العربية**، رينهارت دوزي، طبعة وزارة الثقافة، بغداد.
- **دائرة المعارف الكتابية**، مجموعة من الاختصاصيين المسيحيين، ط. دار الكتاب المقدس، بيروت-لبنان.
- **عشتار ومأساة تموز**، د. فاضل عبد الواحد علي، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، 1973م.
- **علم الفلكلور**، الكزاندر هجرتي كراب، ترجمة رشدي صالح، وزارة الثقافة المصرية، مؤسسة التأليف والنشر، دار الكاتب العربي، القاهرة 1967م.
- **الفولكلور في العهد القديم**، السير جيمس فريزر، طبعة الهيئة المصرية للكتاب.
- **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، أحمد أمين، ط. الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1953م.
- **كل الحلول عند آل الرسول**، ط. الأولى، 1997م.
- **المجموع في شرح المهذب**، محيي الدين النووي، طبع ونشر

دار الفكر، بيروت–لبنان.
- **المسائل الشرعية**، ط. دار الزهراء، بيروت.
- **معجم الأساطير**، لطفي الخوري، ط. دار الشؤون الثقافية العامة، ط. الأولى،1999م، بغداد.
- **ملحمة گلگامش**، د. طه باقر، ط. وزارة الإعلام، 1971م.
- من **أعمال لوقيانوس السميساطي**، لوقيانوس السميساطي، ترجمة سعد صائب وسمير عرنوق، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، 1979م.
- **مهزلة العقل الديني... يا أمة ضحكت**، حسين علي الجبوري، شركة دار الوراق، 2015م، بيروت–لبنان.
- **مهد البشرية... الحياة في شرق كردستان**، دبليو. أي. ويگرام ترجمة جرجيس فتح الله، ط. الأولى، 1971م.
- **موسوعة عاشوراء**، نوري محسن محمد علي،ط. الأولى، 1995م.
- **يهود كردستان**، أريك براور، نقله إلى العربية: شاخوان كركوكي وعبد الرزاق بوتاني، دار ئاراس للطباعة والنشر، أربيل.

المراجع التي أُدرجت في طيات الكتاب دون ذكر تاريخ الطباعة ودار النشر:

- **الأعلام**، خير الدين الزركلي.
- **تاريخ الطبري**، محمد بن جرير الطبري.
- **التشيع العلوي والتشيع الصفوي**، د. علي شريعتي.
- **التوراة** (العهد القديم).
- **التنزيه**، السيد محمد الأمين العاملي.

- **حديث عاشوراء**، السيد محمد حسين فضل الله.
- **الخناقون، ورسيس القتل الطقسي** حسين علي الجبوري.
- **دائرة المعارف**، بطرس البستاني.
- **دائرة المعارف الإسلامية المترجمة**، جماعة المستشرقين.
- **الشعائر الحسينية**، ذياب مهدي آل غلام.
- **عقد الجمان في تاريخ الزمان**، البدر العيني.
- **الغصن الذهبي**، السير جيمس فريزر.
- **الفهرست**، ابن النديم.
- **كربلاء بين الأسطورة والتاريخ**، أحمد لاشين.
- **لسان العرب**، ابن منظور.
- **لغز عشتار**، فراس السواح.
- **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم**، الخوري بولس الفغالي.
- **مختصر حكم الفقهاء في التطبير وسير النساء**، علي الإبراهيمي.
- **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، د. جواد علي.
- **معجم الألفاظ والمصطلحات الأجنبية** .
- **في اللغة العامية العراقية**، د. مجيد محمد.
- **المنجد في الأعلام**، لجنة من المختصين بإشراف بولس براور.
- **موسوعة العتبات المقدسة**، جعفر الخليلي.
- **الموسوعة العربية الميسرة**، لجنة من المختصين بإشراف شفيق غربال.
- **المورد**، (قاموس) إنكليزي-عربي منير البعلبكي.
- **النجف الأشرف... تقاليد وعادات**، طالب علي الشرقي.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير.
- هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي.
-

المجلات:

- مجلة الرسالة المصرية، عدد 473 لسنة 1942م.
- مجلة لغة العرب، انستاس ماري الكرملي.
- A Dictionary of Litrary Terms By Wahba

فهارس عامة

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والبلدان

ج

ح

خ

د

ر

س

ش

ص

ض

ط

ع

فهرس الشعوب والقبائل والجماعات

هذا الكتاب

لقد تناول بالدراسة الكثير من المؤرخين والباحثين الاجتماعيين هذه الظاهرة العنيفة في التفجّع على الحسين التي لصقت بالمذهب الشيعي الاثني عشري وهي من ابتداع بعض الشيعة من العامّة والسُّوقة، فأرجعوها إلى أصول غائرة في التاريخ، مارسها الإنسان البدائي في الحزن على موتاه، ومارسها أصحاب الديانات الوثنية في حالة موت أبطالهم وآلهتهم.

وكان أهل الرافدين القدماء يقيمون المآتم والمناحات عند موت إلههم (دموزي) السومري أو (تموز البابلي) الذي يعتقدون أنه يموت في الشتاء ويبعث في الربيع، فكانت تقام لموته الاحتفاليات في عامة مدن وادي الرافدين (ميزوبوتاميا). وكانت هذه الاحتفاليات تتمثَّل بالعويل والصراخ والبكاء والنَّحيب، يتخلَّلُها لطمُ الصدور وشَقّ الجيوب وجَزّ الشّعر وتجريح الأجساد. وكان القصد من ذلك التعذيب مشاركة الإله في عذاباته وتمثيلها على أنفسهم.

الكتاب متوفر على شبكة أمازون العالمية Amazon.co.uk

دار الوراق - ALWarrak Publishing

